حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد إبريل – يونيه ٢٠١٧)

http://www.aafu.journals.ekb.eg

(دورية علمية محكمة)

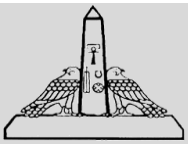

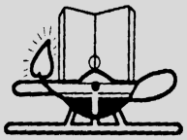

الرأسمالية الحضرية وايكولوجيا الخوف
دراسة استشرافية

أمل سعد صالح *

استاذ مساعد – كلية الآداب – جامعة المنوفية

المستخلص:

تحاول الدراسة معالجة موضوع تأثير الرأسمالية الحضرية على زيادة معدلات ايكولوجيا الخوف فى كلا من العشوائيات والمدن المسيجة بالقاهرة، واستخدمت الدراسة منهج المسح الاجتماعى بالعينة بأداتى الاستبيان والمقابلة، وكانت عينة الدراسة من المهتمين بدراسة العشوائيات ومشاكل الحضر والمدن الحضرية عن طريق عينة غرضية عمدية ، وكان قوام العينة ٢٩ مفردة، وأكدت الباحثة معظم فروض الدراسة فى وجود علاقة سلبية بين الرأسمالية الحضرية وازدياد ايكولوجيا الخوف فى المناطق العشوائية والمسيجة بالقاهرة .

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

المقدمة :

تعتبر ظاهرة الآحادية من ظواهر العمران الحضري القائم في الدول النامية، والتي تعني تركز نسبة كبيرة من سكان الحضر في المراكز الحضرية الكبرى، واستئثارها بالنصيب الأكبر من الاستثمارات(١). وفي العالم العربي، فإن عائدات النفط والتحويلات من الخارج لا تتدفق في وسائل الإنتاج، بل في الأرض كبنك لرأس المال، وقد أسفر هذا عن مضاربة عشوائية في الأراضي، وهو ما نتج عنه تضخم هائل في قيمة الأرض، بالإضافة في بعض الحالات إلى الزيادة المفرطة في الشقق الفاخرة (٢).

ويعتبر قطاع التحضر وتدوير بيع الأراضي والعقارات أحد القطاعات الأكثر حيوية على مستوى الأنشطة الحضرية، فهو قطاع آمن لرؤوس الأموال الباحثة عن زيادة القيمة ووعاء ادخاري لها، ويؤدي تطور أنشطة المضاربة العقارية إلى ظهور شريحة اجتماعية عقارية يرتبط نموها أساسًا بالتكدس السريع لرؤوس الأموال في العقارات والأراضي.

وتلعب المضاربات العقارية دورًا هامًا في التراكم الرأسمالي وإثراء البعض على حساب البعض الآخر(٣). وقد أدى إتساع نطاق هذا النشاط العقارى، إلى خلق طبقة واسعة الانتشار من السماسرة ومضاربى العقارات والاراضى، – ونتيجة للفساد أصبح بإمكان صغار المواطنين وموظفي الإدارة الوسطى المرتبط عملهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالنشاط في الأراضي والعقارات، ان يكونوا طبقة أخرى من الرأسماليين الحضريون ممن لايعملون بشكل مباشر فى المضاربات العقارية – علاوة على أصحاب الشركات المنفذة والشركات صاحبة هذه المناطق(وقد بلغ عدد هذه الشركات فى مصر حتى نهاية أغسطس ٢٠١٣ حوالى ٩٧٥٩ شركة)، فنشأ بذلك لوبى شديد القوة والبأس، ضاغطة بإستمرار على عمليات إتخاذ القرارات ورسم السياسات الاقتصادية، ودوائر إتخاذ القرارات التنفيذية والتشريعية، كما نجحوا فى إختراق المؤسستين التنفيذية والتشريعية(٤).

وقد نبه ديفيد هارفي للديناميكيات الجغرافية لعملية التراكم الرأسمالي، وكذلك ما أسماه هارفي بالتنمية غير المتوازنة جغرافيًا، وكيف تتدفق هذه العمليات الجزئية للرأسمالية، وكيف تتحرك من أحد أجزاء الدولة إلى الجزء الآخر مساهمًة في بناء مجالات مكانية جديدة وتركيزات جغرافية حتى ضمن إطار الدول نفسها. ومع التدفقات الرأسمالية تحدث الديناميكيات المتغيرة للقوة السياسية، الرأسمالي لديه المال الذي يصنعه في استثمار ما يعود عليه بالمزيد من الأموال في النهاية، هذا المال المتزايد ما قصد به هارفي بعملية التراكم الرأسمالي، لكن فيما بعد تبرز المشكلة، وهي ما الذي يفعله الرأسماليون بهذا المال الزائد الذي يأتي في نهاية العملية الاستثمارية، وفي العديد من الحالات يقومون بإعادة استثماره من أجل الحصول على مزيد من الأموال(٥)والقوة، وغالبًا ماتكون القوة قوة اقتصادية مصاحبة للقوة السياسية.

فمنظومة خلق الثروة هى التى تخلق الفقر(٦)، حيث تعتبر الرأسمالية الحضرية ان الفقر الحضري لا يزال يمثل المنجم الذي تُستخرج أو تُنتزع منه الأرباح الفاحشة، والتي تشكل مفارقة فجة. وقد أدت السياسات الليبرالية مثل سياسات التكيف الهيكلي وتحرير التجارة والخصخصة، إلى تعميق الازدواجية الاقتصادية في أغلب الدول النامية(٧)، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور قطاعين اقتصاديين متعارضين، أحدهما مستقر ودائم، والآخر قلق ومؤقت، ومن الطبيعي أن يكون القطاع الأول من نصيب الصفوة، وأن يكون القطاع الثاني من نصيب الهامشيين من فقراء الحضر.

فطبقة تعكسر وتؤمن لنفسها في أفضل الأماكن الحضرية، خوفًا من الطبقة الأخرى، والأخرى هذه تقع تحت ضغوط ايكولوجيا طبيعية تتمثل في المخاطر الطبيعية للعشوائيات التي يسكنونها، وضغوط إنسانية تتمثل فى مخاطر الرأسمالية التي تحاول دائمًا استغلال ظروف السكن لديهم. حيث ترى الدراسة أن العشوائيات والمدن المسيجة هي الابن الشرعي للتنظيم الرأسمالي المشوه، مما يخلق ايكولوجيا الخوف لدى سكان المدن الحضرية، بشقيها المسيج والعشوائي، فايكولوجيا الخوف المرتبط بالعشوائيات والمدن المسيجة هي العرض المزمن لمرض الرأسمالية المتوحشة والعولمة الجائرة المتعسكرة، حيث تعمل الرأسمالية على تهميش قطاعات كبيرة من الفقراء.

وقد تتمثل ايكولوجيا الخوف في أن هناك عوامل بيئية تثير الخوف لدى سكان الأماكن الحضرية أو المدن، تتمثل تلك العوامل فيما نسميه أو نطلق علية الهزات الطبقية، وتنقسم هذه الهزات الطبقية إلي جزءين أو شقين هما : هزات طبقية عن طريق الطبيعة [٨]، مثل التى تحدث فى العشوائيات المقامة في مناطق خطر طبيعية مثل الزلازل والبراكين والسيول والفيضانات وغيرهم وكذلك العشوائيات التى تبنى على حواف الهضاب (مثل هضبة المقطم بمصر)[٩]. وهزات طبقية عن طريق الاستغلال الرأسمالي للرأسمالية الحضرية المحلية (مثل المنمين العقاريين الحضريين) والدولية (مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي)، والتى تزيد من ثروة الرأسمالى ومن افقار الفقراء.

كما تلعب التحولات العالمية والمحلية دورًا كبيرًا في فهم أسباب الخلل فى الاستثمارات الحضرية في أي مجتمع، وكما يوضح تيموثي ميتشيل Timothy Mitchell عن ضاحية دريم لاند بقوله «كان التكيف الهيكلي مقصودًا به توليد رواج في الصادرات لا رواجًا في البناء، وكانت مصر في طريقها للرخاء ببيع الفاكهه والخضروات لأوروبا والخليج، لا بتجريد حقولها لبناء الطرق الدائرية، غير أن العقارات حلت الآن محل الزراعة، بوصفها ثالث أكبر قطاعات الاستثمار غير المرتبطة بالنفط، وذلك بعد التصنيع والسياحة، والحقيقه أنه قد يكون القطاع الأكبر قاطبًة خارج قطاع النفط، حيث إن معظم استثمارات السياحة تذهب إلى بناء قرى سياحية وبيوت قضاء الأجازات، وهو شكل آخر من العقارات» [١٠].

وقد انتشرت فى مصر طوال الأربعين عامًا الماضية، ظاهرة بناء منتجعات سكنية Compounds شبه مغلقة، ذات مستويات سكنية واجتماعية اكثر ثراء من غيرها، (وقد تميزت بعدد من السمات التى توضح ان لدى سكانها خوفًا، نستطيع ان نطلق عليه مفهوم ايكولوجيا الخوف)، ولكن هذه المناطق المسيجة حققت أرباحًا طائلة للشركات المنفذة ، وقد بلغ حجمها فى مصر حتى ٢٠١٢ حوالى ١٠٠ منتجع سكنى فاخر (المناطق المسيجة)[١١].

وتعتبر الدراسة أن قضية ايكولوجيا الخوف المرتبطة بكلًا من المدن المسيجة والعشوائيات، هي قضية شاملة، ذات أبعاد سياسية واقتصادية وفنية تخطيطية، فالسياسيون على سبيل المثال يلعبون دورًا أساسيًا في تحديد الأولويات وتوزيع الاستثمارات والتحكم في عمليات المضاربة على أراضي البناء، وأسعار المواد الخام، وإقامة المرافق، وتقديم الخدمات الحضرية. وأيضًا فطرح هذه الإشكالية (العلاقة بين ايكولوجيا الخوف وكلًا من المكان والإنسان) يختلف باختلاف طبيعة البناء الاجتماعي والتنظيم السياسي والتوجهات الأيديولوجية للدولة وحجم الاستثمارات وتوزيعها على مساكن الجماعات الطبقية المختلفة، والدور النسبي الذي يلعبه كل من القطاع العام والقطاع الخاص في هذا المجال، وحجم الاستثمارات المخصصة للإسكان.

وبذلك هناك خطوط تماس لتوضيح ايكولوجيا الخوف فى المدن الحضرية بشقيها المسيج والعشوائى، منها خطوط تماس تربط ايكولوجيا الخوف بكل من المكان والإنسان، فمن حيث المكان (الخوف من الكوارث الطبيعية والهزات الطبيعية) ومن حيث الإنسان (فهناك الهزات الطبقية والفوارق الطبقية)

إشكالية الدراسة :

في كل مكان من العالم الثالث، يمثل اختيار السكن حسبة معقدة من المكسب والخسارة، وكما أشار جون ترنر John Turner «إن السكن فعل» وعلى فقراء الحضر القيام بحل معادلة معقدة، حيث يحاولون تحقيق أفضل مستوى من تكلفة السكن، وتأمين الحيازة، وجودة المأوى وسهولة الانتقال إلى العمل وأحيانًا ضمان الأمن الشخصي بالنسبة إلى البعض بمن فيهم ساكنو الأرصفة، ويعتبر الوضع الأسوأ على الإطلاق هو الموقع السيئ الغير آمن والأكثر تكلفة، وبدون خدمات بديلة أو مرافق أو تأمين للحيازة[١٢]. كما على ساكنى المدن المسيجة تأمين أنفسهم من فقراء الحضر.

والدولة قد تكون مسئولة فى جانب كبير عن تفاقم العشوائيات، سواء لعدم فاعلية القوانين أو فساد الأجهزة المحلية أو طبيعة السياسات الاجتماعية والاقتصادية المطبقة، كما يرتبط عجز الدولة في تجديد هذه المناطق العشوائية بقلة الموارد المادية وبالسخط الاجتماعي الذي يمكن أن يتولد من جراء عملية كهذه [١٣].

وتشهد القاهرة ظاهرة تحضر الفقر بعد أن كان الفقر مرتبطًا بالريف بشكل أكبر، فهذه المدينة عبارة عن متصل عشوائي يمتد من المركز حتى أطرافها، إن أزمة السكن هي الوجه الظاهر للفقر الحضري في صورة تجمعات فقيرة أو مدن صفيح أو بشر يحتلون الفراغات العامة في المدن الكبرى، وكان هذا نتيجة لتخلي الدولة عن دعم السلع الأساسية تحت ضغط الدول المانحة من أجل إعادة هيكلة اقتصادها وجدولة ديونها، وسيطرة التوجه الرأسمالي في الدول المتقدمة في ظل نظام السوق العالمي الجديد.

وبذلك تتحدد معالم الدراسة فى أنه فى ظل غياب دور الدولة وتوحش الرأسمالية الحضرية العالمية والمحلية، تظهر ايكولوجيا الخوف فى كلًا من المدن المسيجة والعشوائية، وآليات الرأسمالية الحضرية المصرية، ورد فعل الرأسمالية الحضرية وسكان تلك المناطق تتحرك فى كلٍ من الشكلين بشكل مختلف، ففى الاولى تتحرك الرأسمالية الحضرية لتأمين نفسها وساكنى تلك المدن بمزيد من العسكرة الحضرية وفن عمارة الخوف، وفى الثانية تتحرك الرأسمالية الحضرية لإعادة توطين العشوائيين فى أطراف المدينة، وذلك لارتفاع قيمة الارض التى اقيمت عليها بعض المناطق العشوائية بعد توسطها الحيز العمرانى، وسكان تلك المناطق يتحركون باللاحركات الاجتماعية خوفًا من المخاطر الطبيعية بالمنطقة، وبالتالي تحاول الدراسة رصد لموضوع الرأسمالية الحضرية وعلاقتها بايكولوجيا الخوف فى كلا من المدن المسيجة والعشوائية. **انظر الشكل رقم (١)**

الشكل رقم (١)
الرأسمالية الحضرية وايكولوجيا الخوف

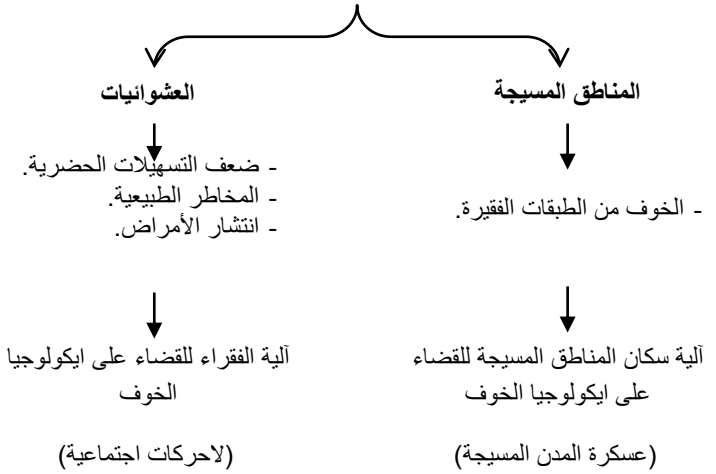

الأهمية العلمية والعملية :

تتمثل الاهمية العلمية والعملية فى إمكانية الاستفادة مما ستخرج به هذه الدراسة من نتائج فى محاولة تحقيق إضافة معرفية، تساهم في تلمس الطريق لوضع حلول لمستقبل القاهرة بشكل خاص، كما يثري البحث العلمي في المجتمع المصري بشكل عام، وخاصةً مع ندرة دراسة الموضوع فى أدبيات علم الاجتماع الحضرى.

أهداف الدراسة :

يتمثل الهدف الأساسي للدراسة في أن هناك علاقة سلبية بين الرأسمالية الحضرية وازدياد ايكولوجيا الخوف بالمناطق العشوائية والمسيجة في القاهرة، وتنطلق الدراسة من عدة أهداف فرعية تتمثل في :

– أن الرأسمالية الحضرية تزيد من الهزات الطبيعية والطبقية التى تؤدى إلى انتشار ايكولوجيا الخوف فى المدن المسيجة والعشوائية.

– أن هناك علاقة بين ايكولوجيا الخوف فى المدن المسيجة وعسكرة تلك المدن وانتشار فن عمارة الخوف بها.

– أن هناك علاقة بين ايكولوجيا الخوف فى العشوائيات وازدياد اللاحركات الاجتماعية.

– محاولة رصد رؤية استشرافية للعلاقة بين دور الرأسمالية الحضرية بشقيها المحلى والعالمى وازدياد ايكولوجيا الخوف.

فروض الدراسة :

يتمثل الفرض الأساسي للدراسة في أن هناك علاقة سلبية بين الرأسمالية الحضرية وازدياد ايكولوجيا الخوف بالمناطق العشوائية والمسيجة في القاهرة، وتنطلق الدراسة من عدة فروض فرعية تتمثل في :

– أن الرأسمالية الحضرية تزيد من الهزات الطبيعية والطبقية التى تؤدى إلى انتشار ايكولوجيا الخوف فى المدن المسيجة والعشوائية.

– أن هناك علاقة بين ايكولوجيا الخوف فى المدن المسيجة وعسكرة تلك المدن وانتشار فن عمارة الخوف بها.

– أن هناك علاقة بين ايكولوجيا الخوف فى العشوائيات وازدياد اللاحركات الاجتماعية.

– محاولة رصد رؤية استشرافية للعلاقة بين دور الرأسمالية الحضرية بشقيها المحلى والعالمى وازدياد ايكولوجيا الخوف.

مفاهيم الدراسة:

١ – ايكولوجيا الخوف :

يتمثل مفهوم ايكولوجيا الخوف بالدراسة الراهنة اعتمادًا على المفهوم الذي صكه وصاغه ديفيز، مايك، مطبقًا المفهوم على مدينة لوس أنجلوس(١٤). ويوضح ديفيز ان هناك كوارث طبيعية وهجمات تشنها الأسود الجبلية والحيوانات المتوحشة الأخرى فى لوس أنجلوس،.ويلقي ديفيز باللوم على النخب وجشع النخب وقصر نظرهم، كما يربط ديفيز بين الأزمات البيئية والظلم الاجتماعي.

ويقرر ديفيز بأن الكوارث الطبيعية تنشأ عن السلوك غير العادي للطبيعة وأن البشر مشاركون قليلًا فى الضرر، فلماذا يعيش الناس فى مسارات الأعاصير ومخرات السيول. ويقرر أن المواطنين فى لوس أنجلوس تصوروا الكوارث من خلال عدسة الخوف وسوء الفهم، وأن النتيجة هو مجتمع لا يحقق المساواة لعدم التوازن مع بيئته، وأن مدينة لوس أنجلوس ظهرت خلال فترة من التتابع البيئي، وخلال هذه الفترة عاشت المنطقة فى الزلازل الضخمة والجفاف لمدة مائتي عام شكلت التاريخ الجيولوجي لها، وأن الكارثة فى لوس أنجلوس لا مفر منها.

وقد حدد ديفيز الوضع الجغرافي لجنوب كاليفورنيا فى المستقبل بأنه سيشكل المناطق الحضرية للناس بلا مأوى وللعنف وللجريمة. مما يزيد من الخوف وبالتالي المراقبة الشاملة للمناطق فى وسط المدينة وزيادة الدوريات الأمنية الخاصة، ومدارس شبيهة بالسجون، وزيادة النزوح من الضواحي القديمة إلى المدن، مما يدفع الطبقة الغنية فى كاليفورنيا الجنوبية للحد من الحريات المدنية لتهدئة المخاوف الاجتماعية. ويتمثل التعريف الإجرائي لمفهوم ايكولوجيا الخوف فى "خوف يربط بين الإنسان والبيئة من حيث مخاطر البيئة الطبيعية، كما يشمل خوف يربط بين الإنسان والإنسان الآخر من الطبقة الأخرى".

٢ – الرأسمالية الحضرية :

يعتبر الإنتاج الرأسمالي الحضري إنتاج سلعي، بمعنى أنه إنتاج من أجل البيع وليس من أجل إشباع الحاجات المباشرة للمنتجين، كما تحدد المشروعات الرأسمالية ما تنتجه من سلع استجابة لما تتوقعه من تغيرات في الأسواق واستجابة لتغيرات الأثمان، ويحدد كل مشروع إنتاجه في استقلال عما تفعله المشروعات الأخرى، رغم أنه قد يأخذ في الحسبان توقعاته من إنتاج المشروعات الأخرى.

فالنظام الرأسمالي ظهر باعتباره نسقًا مركزيًا يستغل نسقًا أدنى من التوابع، وهذه التوابع هي الأخرى تستغل نسقا أدنى، وعلى المستوى الداخلي أيضًا هناك نسق يعبر عن الاستغلال الداخلي – مثل المدينة والقرية أو الأحياء المختلفة المستويات داخل المدينة الواحدة – ورغم أنه نسق داخلي إلا أنه يرتبط بنسق الاستغلال الخارجي، والطبقة الرأسمالية ليست وحدة متجانسة ذات أهداف واحدة وذلك بسبب اختلاف مصالح فئاتها وتصارعها على السوق المحلي وهوامش الأرباح وارتباط بعضها بالسوق الرأسمالي العالمي.

والرأسماليون الحضريون يتمثلون فى المنمي العقاري الذى هو وسيط تجاري يدير عملية إعداد الأرض وبناء المساكن دون أن يتدخل في العملية الإنتاجية، ويظهر المنمي العقاري، مع وجود تمويل مسبق للبناء في هيئة قرض يسمح للمنمي باستثمار جزء صغير من رأس المال، وأيضًا وجود قرض طويل الأجل للمنتفع ليسمح بدفع ثمن الوحدة مباشرة لكي لا يجمد المنمي رأسماله فترة طويلة، ذلك أن المنمي يدير رأسمالًا تجاريًا متحركًا في مرحلة تحوله إلى سلعة خلال عملية معقدة، لكي تتحقق دورة سريعة لرأس المال ويعود للمنمي رأسماله مضافًا إلية أرباحه(١٥).

والمنمي العقاري هو وكيل اقتصادي ووظيفته هي إدارة رأسمال تجاري في مرحلة تحوله إلى المسكن السلعة، ويتدخل الوكيل في كل مراحل العملية الإنتاجية : في البداية، عليه أن يخلي أرضًا لكي تصبح رأسمال في مرحلة التداول، ثم يقدم خلال عملية الإنتاج رأس المال الضروري للشركة وللمهندس، ثم يشتري المنتج خالصًا من الشركة ويسوقه، والمنمي العقاري قد يكون شركات عامة ذات امتياز للإنماء العقاري أو شركات عقارية عامة، لا تتمتع بالامتياز وتقوم بإخلاء الأرض أو شركات عقارية خاصة، أو شركات فرعية للبنوك التجارية أو المشيدون ويجمعون بين الإنتاج والإنماء العقاري.

إلى جانب هؤلاء المنمين الحديثين يوجد منمون آخرون يمكن أن نصفهم بمنمين متوسطين مثل ملاك أراضي يمولون بناء العمارات والمستثمرون الذين ينتج رأسمالهم من دخل عقاري زراعي أو تجاري حيث يشترون أرضًا ويبنونها. وبالتالى فان التعريف الاجرائى للرأسمالية الحضرية " بأنها أسلوب إنتاجي محدد يتضمن وجود رأسمال أو أكثر يهدف لزيادة قيمته خلال عملية التحضر ، والرأسماليين الحضريين يعملون برأسمالهم فى الحضر وللحضر، فى سوق الأراضى والعقارات، وهم أفرادًا أو جماعات أو شركات باختلاف أحجامهم ومستوى نشاطهم، كما انهم يتحكمون فى سوق النشاط الحضرى"

٣ ــ العشوائيات :

وقد وجدت الدراسات المختلفة أن هناك أنماطًا مختلفة للعشوائيات وليس نمطًا واحدًا، وهناك أنماط عشوائيات تختلف من منطقة لأخرى تبعًا لتنوع عوامل مختلفة، سواء المرتبط منها بالمكان أو بالأفراد، بل إنها قد تختلف في منطقة واحدة لاختلاف سكانها من حيث الخصائص(١٦). وقد أفادت الاحصاءات أن ٤٠% من المناطق العشوائية المهددة للحياة تقع فى القاهرة، وقد صنفت المناطق العشوائية من حيث الآمان إلى عشوائيات آمنة غير مخططة، وعشوائيات غير آمنة، والتى تصنف طبقًا للمعايير الدولية وتبعًا لدرجات خطورتها أو عدم الآمان إلى:- مناطق مهددة للحياة (الدرجة الأولى) وهى التى تقع فى مناطق خطورة جيولوجية أو فى مخرات سيول أو داخل حرم سكة حديد. ومناطق ذات مسكن غير ملائم (الدرجة الثانية) والمقصود بها العشش أو المساكن المتهالكة التى تم إنشاؤها بمخلفات مواد البناء. والمناطق المهددة للصحة (الدرجة الثالثة) وهى التى تفتقر لمياه شرب نظيفة أو صرف صحي أو تحت شبكات كهرباء هوائية أو تتعرض لتلوث صناعي كثيف. والمناطق ذات الحيازات غير المستقرة والتى تم بناؤها على أراضي الدولة أو أوقاف أو جهات سيادية.

وأشارت إحصاءات وزارة التطوير الحضري وصندوق تطوير العشوائيات أن اجمالي عدد المناطق غير الآمنة على مستوى الجمهورية ٣٦٤ منطقة تقع جميعها على مساحة ٤٥٦٩ فدانًا، ويقطن فيها حوالي مليون نسمة تمثل ١% من الكثافة العمرانية فى مصر وتضم حوالي ٢١٧.٩٥٦ وحدة سكنية وتشمل ٢٦ منطقة مهددة للحياة و ٢٥٨ منطقة سكن غير ملائم (عشش) و ٦١ منطقة مهددة للصحة و ١٩ منطقة حيازتها غير

مستقرة، وتبلغ الكثافة السكانية بالمناطق غير الآمنة حوالي ٢٠٠ شخص/ فدان[١٧]. والجدول رقم (١)، (٢) يوضح أن هناك ١٢٤ منطقة عشوائية تم بناؤها على أملاك الدولة و٣٩ على أراضي جهات مركزية و ٢٠١ منطقة على أراضي ملك المواطنين[١٨].

جدول رقم (١)

اجمالي توزيع عدد المناطق غير الآمنة طبقًا لدرجة الخطورة والملكية (٢٠٠٩-٢٠١٤)

درجة الخطورة	أملاك خاصة	أملاك دولة	جهات مركزية	عدد المناطق
١	٣	٣١	١	٣٥
٢	١٧٤	٨٨	٣٣	٢٩٥
٣	٥١	١٨	٢	٧١
٤	٠	١٦	٥	٢١
الاجمالي	٢٢٨	١٥٣	٤١	٤٢٢

جدول رقم (٢)

الموقف الحالي لتوزيع عدد المناطق غير الآمنة طبقًا لدرجة الخطورة والملكية (يونيو ٢٠١٤)

درجة الخطورة	أملاك خاصة	أملاك دولة	جهات مركزية	المناطق
١	٢	٢٣	١	٢٦
٢	١٥٨	٦٩	٣١	٢٥٨
٣	٤١	١٨	٢	٦١
٤	٠	١٤	٥	١٩
الاجمالي	٢٠١	١٢٤	٣٩	٣٦٤

وتنقسم الدراسة الحالية إلى شقين، الإطار النظرى والإطار الميدانى للدراسة.

أولًا : الإطار النظري للدراسة:

يتمثل الاطار النظرى للدراسة فى توضيح العلاقة السلبية بين الرأسمالية الحضرية وانتشار ايكولوجيا الخوف فى الأحياء العشوائية والمسيجة بالقاهرة من خلال:

أ – النمو التاريخى للرأسمالية الحضرية المصرية

والتتبع التاريخي لنمو الرأسمالية المصرية عمومًا والرأسمالية الحضرية خصوصًا، لا يخرج بنا من إطار علاقة الرأسمالية بالدولة وعلاقة الدولة بالشرائح الاجتماعية الأخرى بالمجتمع، وعلاقة كلاهما بالنظام الليبرالى العالمى، فلا نستطيع تبيان تاريخ الراسمالية الحضرية دون توضيح تاريخ سياسات الاسكان والتاريخ السياسى الاقتصادى والاجتماعى المصرى. وقد تطورت سياسات الإسكان فى مصر، واختلفت تبعًا للسياسات العامة للانفاق الاجتماعي للدولة، وتحول التوجهات السياسية والاقتصادية لنظم الحكم فى مصر، ومن ثم نجد تباينات فى تلك السياسات باختلاف النظم السياسية الحاكمة وتوجهاتها.

وإذا تتبعنا نمو الرأسمالية الحضرية مع الاتساع والامتداد المكاني لمدينة القاهرة من الأطراف حتى المركز، ومع تزايد الازدواجية الحضرية فى القاهرة الكبرى وازدياد الضغط على فقراء الحضر، نجد أنه منذ بداية محمد على وتنصيبه واليًا على مصر وتبع ذلك فى عهد أحفاده، كان بداية لتطبيق مبادئ التخطيط الحديث فى القاهرة والاسكندرية،

وبالرغم من تحجيم الهجرة إلا أن ذلك لم يقف حائلًا دون ظهور بوادر لأزمة إسكان، حيث دفعت الشرائح الدنيا كالمعتاد ثمن تحديث العمران، فقد نزح السكان الذين فقدوا مأواهم نتيجة لشق الشوارع العريضة وتنسيق الميادين وما استتبعه من عمليات الهدم والإحلال إلى المقابر(١٩).

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية، بدأ القطاع الخاص يستثمر فى بناء العمارات السكنية ويعرضها للإيجار، فقد كان تجميد الإيجار قاصرًا على المباني التى كانت قائمة حتى إبريل ١٩٤١، وكان طبيعيًا أن تكون ايجارات المساكن الجديدة أعلى بكثير من نظيراتها للشقق القديمة المجمدة إيجاراتها.

وتوضح القراءة السريعة لواقع الاسكان فى مصر أنه قبل عام ١٩٥٢ لم تكن هناك أزمة فى مجال الاسكان، حيث حقق سوق الاسكان نوعًا من التوازن التلقائي بين العرض والطلب، ولم يكن على الدولة المساهمة بصورة كبيرة فى إنشاء المساكن(٢٠).

وعندما جاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حاول الحكام الجدد إرضاء سكان المدن بعد أن حصلوا على تأييد واسع من الفلاحين فى الريف بصدور قانون الإصلاح الزراعي فى ١٩٥٢. وفى ١٩٥٢/٩/١٨ صدر قرار مجلس قيادة الثورة بتخفيض الايجارات وسحب حق المالك فى طرد الساكن أي إخلاء العين مع نهاية العقد، وكان ذلك بداية لمسلسل طويل من القوانين التى صدرت خلال فترة الثورة ولمناسبات مختلفة(٢١). وكانت برامج الاسكان الشعبي التى تكفلت بها الحكومة المصرية كانت طموحة بالنظر إلى الاستثمارات المتاحة آنذاك فى مجال الاسكان، فزاد الطلب على العرض، الأمر الذى ترتب عليه بدء انتشار العشوائيات على نطاق واسع كحل من جانب الشعب لمواجهة مشكلة عدم وجود مسكن(٢٢).

وجاءت حقبة الانفتاح الاقتصادي عام ١٩٧٤ فحدثت تغيرات هامة وأساسية فى سياسة الاسكان، وأهم هذه التغيرات إنشاء وزارة التعمير(٢٣). ومع التغيرات البنيوية فى سياسة الإسكان، والتى بدأت مع عصر سيادة المقاولين، انتعشت حركة العمران وبناء المساكن تدريجيًا من منتصف السبعينيات ومع بداية الثمانينيات، وان الفئات الصاعدة من المستثمرين فى مجال الاسكان، قد تحولوا من مقاولين او تجار وسماسرة أراضي لكي يكونوا رجال أعمال فى مجال إنشاء عمارات التمليك ولمع فى مجال الاستثمار أسماء جديدة لم تكن معروفة فى مجال إنشاء عمارات التمليك، ذلك أن المناخ العام قد تغير مع ترديد مقولة أن مصر تواجه مشكلة إسكان حادة أسموها أزمة، فقد أدى ذلك إلى خلق مناخ استثماري موات لهذا النمط من البزنس لأنه يعطي عائد آخر يمكن الحصول عليه من خلال دورة رأس المال(٢٤).

فإذا كان المستثمرين العقاريين فى فترة السبعينيات والثمانينيات يستثمروا فى بناء الأبراج، انتقل المستثمرين بعد ذلك لبناء الكمباوندات بنفس المنطق وبنفس الطريقة، علاقات مع وزراء وأعضاء مجلس شعب وشورى، وبدايات قروض من البنوك ثم تتحول الأرباح إلى جيوب هؤلاء بسهولة.

وهكذا تكون سياسة الاسكان التى بدأت فى منتصف السبعينيات قد نجحت فى زيادة حجم إنشاء المساكن بشكل هائل وهو أمر يوفر حجم أعمال عظيم بالنسبة للمقاولين وحقق لهم أرباحًا هائلة، كما أنه يحقق فرص عمل لمئات الآلاف من العمال، ولكن أن يحقق ذلك توفير المساكن للفئات الاجتماعية المختلفة فهذه قضية أخرى، ومن هنا طرحت فى منتصف الثمانينات مقولة "مساكن بدون سكان وسكان بدون مساكن" لأن سياسة الإسكان كان ينقصها البعد الاجتماعي، وهذه قضية أمن قومي، وهى أحد الملامح الرئيسية والنتائج

الهامة لمجمل سياسة الاسكان منذ عام ١٩٧٤ حتى الآن[٢٥]. وكان الرأسماليون المصريون يعملون على البحث عن ربح سهل عن طريق الامتيازات التى يمكن أن تقدمها لهم تدخل الدولة، كما أن رأسمال الأجنبي ما زال متحفظًا رغم كل الضمانات التى تقدمها قوانين الانفتاح الاقتصادي[٢٦]. مما سبق يتضح ان الحكومة شجعت القطاع الخاص، ولم تتدخل لضبط الاسعار، وفى ظل تنامى الهجرة الريفية الحضرية، الأمر الذى أدى الى انتشار العديد من المناطق العشوائية كحل لمشاكل الاسكان[٢٧].

وتتميز الحيزات المكانية التى تشكل هذه البنية بعدم الجمود، حيث إنها تتحول وتتطور تعيد بناء ذاتها تبعًا لنمو السكان والحراك الاجتماعي داخل المكان، وهذا الحراك ليس مستقلًا، بل يحدده نظام توزيع الدخول والقدرة الاستهلاكية للشرائح الاجتماعية المختلفة، فإضفاء التمايز الحضري فى المدينة، فى شكل أحياء مقسمة وفقًا للمستويات الاجتماعية المختلفة، هو النتيجة المترتبة على التقسيم الاجتماعي للعمل، وتندرج الأحياء العشوائية فى القاهرة فى هذا التقسيم، وهى لا تقع أغلب الأحيان بين أحياء سكنية متمايزة اجتماعيًا، بل نشأت على أطرافها ولكن فى تواصل معها، ويمكن النظر إليها كحيزات عمرانية داخل اطار حضري واحد، وعلى هذا الأساس فإن تحليل البعد المكاني لمناطق الإسكان العشوائي لا يمكن أن يتم بمعزل عن المدينة ككل، فيجب أن يأخذ هذا التحليل فى اعتباره التفاعل الاجمالي لكل أجزاء المدينة أثناء تشكل بنيتها وتطورها[٢٨].

وتترابط مناطق الإسكان العشوائي مع التقسيم الاجتماعي للحيز المكاني، وعلى ذلك، فإن تلك المناطق أصبحت مدن حقيقية سواء بمساحاتها أو بعدد سكانها، إنها فى الواقع التجسيد لتفاوت الدخول ونتيجة له، تلك الدخول التى تسبب الانتقاء الاقتصادي والاجتماعي للحيز المكاني الحضري فى إطاره الكلي.

ب - الرأسمالية الحضرية وايكولوجيا الخوف فى العشوائيات

وتندرج الأجزاء العشوائية للقاهرة فى مجمل البنية الحضرية وتمثل مناطق متباينة، تتحدد مورفولجيتها طبقًا لطبيعة الموقع وتوزيع الدخول التى تنشأ عنها أنماط مختلفة للاستهلاك والنظم التخطيطية. وتختار مواقعها فى علاقتها بوحداتها الإنتاجية، وتستوعب فوائض المناطق الريفية بقدر ما تستوعب المستبعدين من المناطق الحضرية الأخرى[٢٩].

وتتم الآن أبشع الانتهاكات التي يمكن أن تلحق بحق الإنسان في السكن، بداية من عدم وجود مأوى، وحرمان المواطنين منه، مرورًا باللجوء إلى العشوائيات انتهاءً إلى الإخلاء القسري الذي يعد الانتهاك الأشهر للحق في السكن الملائم والأكثر انتشارًا في العالم، وكذلك الأكثر ارتباطًا برأسمالية الشركات الجائرة بمسميات عدة، من ضمنها التحديث والتنمية العمرانية والاستثمار، وكلها تقوم على ضروره التخلص من الفقر، بالطريقة الأضمن دائمًا، وهي التخلص من الفقراء أنفسهم، وذلك بإزاحتهم بعيدًا عن المنظر الطبيعي الجميل والعمراني الراقي، حرصًا على صفوة المجتمع[٣٠]. وفى بعض الأحيان تحدث حرائق المناطق العشوائية بشكل عمدى للتخلص من تلك المناطق وتطهير الأرض من واضعى اليد، ليتم بعد ذلك إعادة بيع الأرض وإعادة تدويرها مما يؤدى الى مزيد من الثراء للراسماليين الحضريين.

وللمناطق العشوائية قيمة اقتصادية لايتم تقديرها تقديرًا حقيقيًا أو الاستفادة منها، بسبب وضعها غير القانونى، فى آواخر التسعينيات تم تقدير الأصول الثابتة وغير المستغلة – الاراضى والعقارات المسجلة بصورة غير رسمية أو التى بنيت بطريقة غير قانونية – فى المناطق الحضرية فى مصر بما يصل الى ١٩٥ مليار دولار امريكى،

بالاضافة الى ٢، ٤مليار دولار قيمة الأعمال التجارية غير الرسمية، واذا تم اضفاء طابع الرسمية على راسالمال الثابت وغير المتداول من عقارات ومؤسسات تجارية لارسمية، من خلال تسجيل ملكية الاراضى والعقارات، وتسجيل الأعمال، فان ذلك قد يرفع قيمة هذه الاصول، ويحقق امكانية استخدامها بالاساليب التى تزيد من امكانيات الاستثمار لمالكيها(٣١).

ودائمًا يتم الإخلاء القسري لمئات الآلاف، وأحيانًا ملايين من الفقراء المستأجرين القانونيين، وأيضًا واضعي اليد من أحيائهم السكنية، والنتيجة أن فقراء الحضر يصبحون رحلًا، مارين في حاله دائمة من إعادة التوطين. وأن هذه الخلخلة المكانية الدائمة، أصبحت أساسًا لسياسة التخويف التي يمارسها النظام، وعبر إعادة التسمية وإعادة البناء وإعادة التوطين لساكني المواقع المألوفة.

كما أن الفقر يعاظم من المخاطر المحلية الجيولوجية المناخية، فالهشاشة الحضرية البيئية أو الخطورة، أحيانًا ما تحسب كنتاج للمخاطر / الأضرار (تكرار وحجم الحدث الطبيعي). مضروبًا في الأصول (السكان والمساكن المعرضه للمخاطر) مضروبًا في الهشاشة (الخصائص الفيزيقية للبيئة المشيدة أو المبنية) : الخطر = المخاطر × الأصول × الهشاشة، لقد ضاعفت عملية العمران الحضري العشوائي في كل مكان من المخاطر الطبيعية المتأصلة في البيئة الحضرية، فعلى سبيل المثال أزاح فيضان النيل وهجر ٨٠٠.٠٠٠ من السكان الفقراء في الخرطوم، ويشير العلماء إلى أنه في الوقت الذي كانت فيه علامة المياة المرتفعة، أقل مما كانت عليه في ذورتها عام ١٩٤٦، فإنها فعلت عشرة أضعاف ما فعلته سابقتها من أضرار، وهو ما يرجع بشكل كبير إلى الانتشار والتمدد المتزايد للعشوائيات الواقعة في سهول الفيضان بدون مصارف(٣٢).

ويمكن للمدن المسيجة في مواقع محفوفة بالمخاطر، أن تقلل من حجم الخطورة الجيولوجية أو الصخرية، عبر بعض الأعمال المهمة الهائلة و«الهندسة الشاقة» مثل القيام بتثبيت الزحف الأرضي وعمل شبكات نسيجية جيولوجية، ودعامات وصوامل صخرية....الخ، فعلى وجه النقيض، نجد العشوائيات التي تفتقد لمياه الشرب والمراحيض، والهشاشة، ببساطة هي عرضة للإهمال الحكومي المنظم للأمان البيئي، والذي يكون في الغالب في مواجهة الضغوط المالية الأجنبية.

فنرى الأمطار والفيضانات والمخاطر الصخرية تؤكد أزمة السكن الحضرية، ويكتب كينيث هيويت Kenneth Hewitt أن الزلازل دمرت أكثر من ١٠٠ مليون منزل خلال القرن العشرين، أغلبها في العشوائيات والأحياء السكنية المزدحمة أو في القرى الريفية الفقيرة. وتتوزع المخاطر المرتبطة بالزلازل بشكل غير متساو على الإطلاق في معظم المدن، إلى حد أن مصطلح هزة طبقية قد صك لتمييز النمط المنحاز من التدمير(٣٣). ومع انتقال النخب الحضرية إلى التجمعات السكنية المغلقة والمسيجة، في الضواحي المترفة، فإنهم يصبحون أقل قلقًا من تهديد الأمراض في العشوائيات(٣٤).

وقد تم تحول الدولة إلى سمسار في كل المعاملات، لتخلي الساحة بين الشركات والمؤسسات المالية الدولية، وعلى رأسها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وبين المواطنين المفقرين والمهمشين المعرضين دائمًا للاستغلال والتعذيب وسوء المعاملة في العمل وفي الشارع وفي السكن. فوسط بيئة من التضخم في ثمانينيات القرن الماضي، أصبحت العقارات هي القطاع الأعلى ربحًا حيث يتقاطع كل من عوامل الفساد السياسي، والتطوير الرأسمالي والقطاع المالي الدولي معًا في هذا القطاع.

فالنمو الحضري السريع في سياق التكيف الهيكلي، وتخفيض قيمة العملة، وتقليص معدل إنفاق الدولة، أصبح وصفة حتمية لإنتاج العشوائيات والأحياء الفقيرة بصورة ضخمة على مستوى العالم، وهو ما يجعل الحضرنة وانتشار طابع العشوائيات Favelization شيئين مترادفين تمامًا. إن المواقع المركزية للأحياء العشوائية وضع اليد، جعلتها أهدافًا للتجديد والثراء، ولا يمكن إعزائها من قبل كبار المطورين الذين كانوا هم وحدهم من يتمتعون بالنفوذ السياسي والقوة المالية اللازمين لحل مشكلات التملك المربكة في مناطق العشوائيات(٣٥).

فعلى مستوى العالم الثالث، فإن تخوم الأرض الخالية لواضعي اليد الفقراء، تلك التي تحدث عنها جون ترنر John Turner قد انتهت "عشوائيات الأمل» تم إحلالها بـــ اللاتيفونديا Latifundia رأسمالية الحاشية والمحسوبية Crony Capitalism ". فإن المضاربة غير القانونية في الأراضي الحضرية على أطراف المدن، أصبحت واحدة من الأشكال الرئيسية للفساد الرسمي(٣٦).

فإن وضع اليد، يمكن أن يكون استراتيجية خفية أو سرقة تيسر للنخبة التلاعب بقيمة الأرض، وفي كتاباته حول مدينة «ليمان» في السبعينيات، أطلق الجغرافي مانويل كاستلز Manuel Castells مسمى «رواد حضريون» على واضعي اليد الذين تم استغلالهم من قبل ملاك الأراضي «في أغلب الأحيان تلاعب أصحاب الأراضي والمطورون من القطاع الخاص بواضعي اليد، زاجين بهم في قطع من الأراضي الواقعة ضمن سوق العقارات، وذلك بالحصول من السلطات على شيء من البنية التحتية الحضرية، من أجل واضعي اليد! ومن ثم تعزيز قيمة الأرض وفتح الطريق أمام بناء السكن المربح، وفي مرحلة ثانية، تم طرد واضعي اليد من الأرض التي شغلوها، بل وأُجبروا بذلك على البدء ثانية على أرض أخرى عند حدود المدينة التي تمددت نتيجة لأطماع هؤلاء الملاك»(٣٧).

وقد وضح هارفي أن التراكم الرأسمالي بفعل نزع الملكية يتعلق بتجريد شخص ما من ممتلكاته أو حقوقه، ويتراكم الناس في بعض الأماكن على حساب الناس الآخرين (أي عبر طردهم من أماكنهم وإحلال غيرهم فيها) (٣٨). فالرأسمالية الحضرية تلعب دورًا مزدوجًا في تملك الأراضي الجديدة لإقامة مشروعات رأسمالية مربحة، ومحاولة الحصول على أراضي العشوائيات ذات القيمة المالية العالية لتحويلها إلى مشاريع رأسمالية أخرى (فالطرف أو المحيط الخارجي لمدن العالم الثالث يصبح غدًا جزءًا من مركز المدينة ذات الأسعار المرتفعة). ولذلك فإنه من الممكن تتبع أثر الجغرافيا المتغيرة لأية مستوطنة سكنية لمنخفضي الدخل، في ضوء الوضع التاريخي للعشوائيات والخصوصية الحضرية.

فقد احتوى بيع الأراضي العامة تحويلًا هائلًا للصحراء المحيطة بالقاهرة إلى ملكية خاصة، ويضيف أن المنتفعين كانوا من الطبقة الجديدة من المقاولين الذين يرتبطون وعلى نحو مضطرد بكل من المؤسسات التابعة للدولة وبالشركات الدولية، وأعضاء نظام مبارك من المرتبة الرفيعة، والذين يفترض أن لديهم مصالح خفية وخاصَّة في المؤسسات المطورة للضواحي في الصحراء غرب أهرامات الجيزة(٣٩).

فمعظم المجتمعات المكونة على أراضي وضع يد، تعد نتيجة حتمية لما يسميه آصف بيات Asef Bayat «زحف هادئ للعامة» تسرب أو تخلل صغير الحجم، غير متحد للأطراف أو المواقع الفارغة (أو ما يمكن تسميته بالمواقع الفجوية Interstitial)،

وعلى خلاف النمط البرختي Brechtian للصراع الطبقي والمقاومة لفقراء الفلاحين، فإن صراعات فقراء الحضر ليست مجرد دفاعية بل هي «عدوانية هجومية على نحو خفي» فيما تهدف إليه، وبلا توقف من توسيع مساحة الحياة. أن هذه الأنماط من الزحف العمراني، عادة ما يتكرر تزامنها مع فرصة محبذة لاحتلال الأرض، مثل الانتخابات والكوارث الطبيعية والانقلابات والثورة.

وقد وصف آصف بيات Asef Bayat المدينة النيوليبرالية باعتبارها واقعًا حضريًا يحركه السوق، وفيها تصاغ الحياه الحضرية عبر منطق السوق، بدلًا من حاجات المواطنين، فيصاغ وفقا لهذا المنطق «الفضاء الحضري»، ومن هنا تلبي المدينة النيوليبرالية مصالح الفرد والشركات بدلًا من اهتمامات الجماهير، ومن بين المظاهر التي تتضمنها، التخلص بشكل متزايد من الضوابط، وخصخصة الإنتاج والاستهلاك الجماعي، ومن ثم أصبحت الدولة والموظفون العموميون للدولة يلعبون دورًا أقل في تشكيل المدينة عن ذي قبل، أو لايهدف أداءهم سوى صالح التراكم الرأسمالي فقط. كما وصف آصف تلك المدينة بأن «داخلها ظاهرًا في الخارج»(٤٠). ولكن وضع اليد الذي يمارسه الهامشي، لا يعني درجة من تعديل الموازين، إنما يعنى تعبيرًا عن الحق فى المدينة، أى مواطنة حضرية بحكم الأمر الواقع، حتى وإن لم تكن مواطنة شرعية، إذ في نهاية الأمر يفترض وضع الملكية سندًا قانونيًا.

وترتبط المدن النيوليبرالية باللاحركات الاجتماعية وهو الفعل الجماعي لفاعلين متفرقين وغير منظمين، وتتضمن هذه اللاحركات الاجتماعية وسط الفقراء، للمطالبة بحقوقهم في الفضاء الحضري ووسائل كسب العيش، وتتضمن هذه لا حركة اجتماعية للشباب من أجل المطالبة بأن يعيشوا شبابهم، ومن ذلك احترام أنماط الحياة التي يرغبونها وتحقيق ذواتهم الفردية.

وتدخل الأنظمة في تنافس مع لاعبين آخرين في تشكيل الحياة العامة والممارسات اليومية للمواطن، إن توليد القوة في المجتمع لا يتم عبر المؤسسات الرسمية أو الأفعال السياسية المباشرة فقط، بل يكمن أيضًا في قدرة الحركات الاجتماعية والفاعلين المختلفين على خلق ثقافة بديلة وتنظيم الأنشطة الحياتية حولها، وهنا يطرح مفهوم سياسة الحضور Politics of Presence أو فن الحضور The Art of Presence أي كيف لأفراد عاديين غير مترابطين بالضرورة أن يغيروا معالم الواقع السياسي ليس من خلال مواجهات سياسية جمعية مباشرة يمكن قمعها بسهولة، إنما عبر ممارستهم لحياتهم اليومية في الفضاء العام بشكل يعبر ذاتيًا عن موقف.

ويؤكد آصف بيات على أن اللاحركات الاجتماعية Social Unmovement هى صنف آخر من الظواهر لا يكون مرئيًا للكثير ولا تقدر قوته التحولية قدرها. وبذلك اللاحركات الاجتماعية هي الأثر الجمعي لعدد كبير من الفاعلين الذين لا يعملون بشكل جمعي، فعندما يقوم أفراد عاديون منتشرون وغير مترابطين بممارسات يومية متشابهة لا تتوافق مع النظام العام، لكنها لا تأخذ طابع التحدي والمواجهة، فإنهم ينتجون حالة ضاغطة لا يستهان بقدرتها على تغيير الواقع السياسي والاجتماعي. إنها الزحف الهادئ Quiet Encroachment الذي يضع الأنظمة والقوى التقليدية في مأزق، فاللاحركات الاجتماعية ليست هدفًا معاديًا يمكن تبرير قمعه ولا كيانات منظمة ذات قيادات محددة يمكن تحجيمها وامتصاصها، إنما هم الناس العاديون وهم يمارسون حياتهم فحسب، تكمن خطورة هذا الشكل من أشكال التغيير السياسي الصامت، في أنه يشرعن ويطبع الواقع

الجديد الذي يصنعه الناس بممارساتهم وبغير القيم والمعايير السائدة، إنه يهدد منطق القوة ذاته أي قابلية الفرد لأن يُحكم وأن يكون عنصرًا طيعًا.

ويميز آصف بيات بين الحالة الثورية «الاستثنائية» المؤقتة وبين حالة الحياة «العادية»، إلا أنه يشير أن ثمة اتصال مهم بينهما، اللاحركات الاجتماعية التي تمخضت عن حالة غير منظمة، حيث حل الفعل الجمعي Collective actions محل الفاعليين الجمعيين Collective actors والحراك الصامت للفقراء في المجال الحضري في مدن الشرق الأوسط. وتتطور اللاحركات الاجتماعية عن طريق فن الوجود والشجاعة والإبداع لتأكيد الإرادة الجماعية، على الرغم من كل الصعاب للتحايل على القيود، وذلك باستخدام ما هو متاح، واكتشاف مساحات جديدة يمكن من خلالها الإنصات ورؤية وشعور وإدراك النفس(٤١).

فإن اللاحركة هي أيضًا نتاج تجاوزات هادئة لأناس عاديين والتي يسعى من خلالها فقراء المدن من خلالها في الشرق الأوسط إلى التعامل مع أثر السياسات الاقتصادية الليبرالية الجديدة والعولمة، وفشل الدولة لتلبية احتياجاتهم، وتعتبر «التعديات الهادئة» «أنشطة لا جماعية لكن مطولة ومباشرة من أفراد وأسر مشتتة للحصول على ضروريات أساسية في حياتهم، وذلك بأسلوب هادئ ومتواضع وغير قانوني(٤٢).

ج - آليات صندوق النقد الدولى والبنك الدولى فى سوق الحضر المصرى

وفي بعض بلدان العالم الثالث، كانت فكرة الدولة المتدخلة، الملتزمة التزامًا شديدًا بالسكن الاجتماعي وتنمية العمل، تبدو هلوسة، لأن الحكومات منذ زمن تخلت عن أية جهود جادة لمحاربة العشوائيات والتهميش الحضري. وكانت الإجراءات التي اتبعها صندوق النقد والبنك الدوليين، وراء تقليص دور الحكومات الوطنية في توفير السكن إلى حده الأدنى، فبرامج التكيف الهيكلي التي فرضت على الأمم المدينة في أواخر سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، تطلبت تقليصًا لبرامج الحكومة، وفي الغالب خصخصة أسواق السكن (٤٣).

إذن نجد الدولة ما بعد الاستعمارية أصبحت خائنة لوعودها الأصلية لفقراء الحضر، وإن السكن العام والمدعوم بمساعدة الدولة في العالم الثالث، قد انتفعت به بشكل رئيسي الطبقات الوسطى (برشطه Poaching) الحضرية والنخب، هؤلاء الذين يتوقعون تسديد معدلات ضرائب منخفضة، ويتلقون مستويات مرتفعة من الخدمات البلدية(٤٤).

فصندوق النقد الدولي، الذي يعمل بدوره كمراقب مالي للعالم الثالث، يدافع في كل مكان عن أجور المستخدم التنازلية، وفرض الضرائب على الخدمات العامة، ولكنه لا يجتهد أبدًا في طرح جهود مقابلة لفرض الضرائب على الأغنياء، أو على الاستهلاك أو على العقارات. ومع أن البنك الدولي يكافح من أجل الحكم الرشيد في مدن العالم الثالث، ولكن يقوض إمكانية حدوث ذلك، بحكم دعمه النادر لفرض الضرائب التصاعدية(٤٥).

وقد تزايد معدل إقراض التطوير الحضري من جانب البنك الدولي، من مجرد ١٠ ملايين دولار في ١٩٧٢ إلى أكثر من بليوني دولار في ١٩٨٨، وفيما بين عامي ١٩٧٢، ١٩٩٠ ساعد البنك الدولي في تمويل إجمالي ١١٦ موقعًا وخدمة، وخطط لتطوير العشوائيات في ٥٥ دولة (٤٦).

فإن برامج التكيف الهيكلي كانت وعن قصد مناهضة للحضر في طبيعتها، ومصممة خصيصًا لقلب أي انحياز للحضر، كان موجودًا قبل ذلك، في سياسات الرفاهية، أو الهيكل المالي أو الاستثمار الحكومي، وفي كل مكان في العالم، قام صندوق النقد

والبنك الدوليان، العاملان كوكيل للأراضي أو المأمور القضائي للبنوك الكبرى في فرض الخصخصة وإزالة القيود على الاستيراد ورفع الدعم عن الغذاء وإسقاط القطاع العام بلا رحمة. ووفقًا لويليام تاب William Tabb فإن فريق العاملين المحترفين في البنك الدولي، يمثلون المعادل ما بعد الحداثي للخدمة المدينة الاستعمارية(٤٧).

د - الرأسمالية الحضرية فى المدن المسيجة وفن عمارة الخوف

ففي القاهرة وامتدادها أنشأت الضواحي الخاصة بسكن الأغنياء والصفوة (٤٨). وتغطى المدن المسيجة مجمل طريق مصر – اسكندرية الصحراوى، والمدن الجديدة على تخوم مدينة القاهرة كالشروق والقاهرة الجديدة و٦ أكتوبر، ويشير محمد محى الدين بأن تلك الظاهرة نتاج لسعى الشرائح العليا من الطبقة الوسطى والفئات الرأسمالية الجديدة للفكاك من أسر الفوضى التى تعم المناطق التقليدية، باعتبار ان هذه المناطق الجديدة صديقة للبيئة(٤٩)، ويمكن أن نشير إلى ان التمييز الحضري أو انعدام المساواة الحضرية في العالم الثالث، هو حرب اجتماعية لا تتوقف رحاها، تتدخل فيها الدولة بانتظام بإسم التقدم والتجميل، وحتى بإسم «العدالة الاجتماعية لصالح الفقراء»، وذلك بإعادة رسم الحدود المكانية لصالح أصحاب الأراضي، والمستثمرين الأجانب، وملاك العقارات من النخبة وأبناء الطبقة الوسطى (٥٠).

إن الطلب على مسائل الأمن والعزل الاجتماعي، أصبح وسواسًا عالميًا، ففي المدن المسيجة بالقاهرة، حيث تقوم جمعيات ملاك المنازل بعمل متاريس في الشوارع العامة. وهذا النمط من فن عمارة الخوف، (نمط شائع في العالم الثالث، وفي أجزاء من العالم المتقدم، ولكنه يبلغ مداه العالمي في مجتمعات حضرية كبيرة) ينطوي على مظاهر من انعدام التكافؤ الاجتماعي – الاقتصادي. وهذه المناطق تمتاز ببنية تحتية، تعد نوعًا ما بالاكتفاء الذاتي مع مستشفى وسوق تجارية للتسوق ودور سينما ونادٍ رياضي وجولف ومطاعم وجامعة، هذه المناطق معروفة محليًا باسم «مناطق كاملة الحماية». (٥١).

ولربط هذه المساحات المحمية حماية خاصة، كان لابد من ضرورة ظهور «شبكة محصنة من الطرق» فكان تطوير مجموعة استراتيجية من الطرق المصانة جيدًا والمنارة جيدًا والسريعة. ففي مصر كان الطريق الدائري الذي تم بناؤه عبر عشوائيات كثيفة السكان بمحافظة الجيزة. هذه المدن المعزولة منزوعة من مشهدها الاجتماعي الخاص بها، وكما يضيف جيرمي سيبروك Jeremy Seabrook "فإن برجوازيات العالم الثالث الحضرية لا تلبث أن تنسلخ عن مواطني بلادهم، وهنا تصنيف للمال نوعي ما فوق أرضي، فهم يصبحون مواطنين للثروة، وقوميين للامكان وهمي، وبالعودة إلى العالم المحلي، سنجد أن فقراء الحضر موحولون ببأس في ايكولوجيا بيئة العشوائيات"(٥٢).

إن عسكرة الحياة السياسية يعد أمرًا مرعبًا، بالتأكيد أن الحرب على الإرهاب أو الشعور بالإرهاب قد أصبح جزء من الطرق التي يتم بها تبرير ذلك التوجة نحو العسكرة في الخارج والداخل، لذا يستخدم الخوف ويستغل لتحقيق غايات سياسية خاصة من أجل نشر النظام والسلطة في الداخل والخارج. أما فى المناطق العشوائية فالخوف يتمثل فى إزالة هذه المناطق، ومنذ سبعينيات القرن الماضي أصبح من الشائع بالنسبة للحكومات فى كل مكان، تبرير إزالة العشوائيات، وحيث أن العشوائيات هى مركزًا للجريمة، فيجب قمع هذه العشوائيات من قبل الدولة، فبعد أحداث الغضب فى ١٩٧٧ المرتبطة بصندوق النقد الدولي فى القاهرة نتيجة سياسات السادات النيوليبرالية، صب السادات جام غضبه على عشوائيات عشش الترجمان فى حي بولاق أبو العلا بالقرب من وسط القاهرة، وكما تقول فرح غنام أن السادات أراد أن يتم اعادة تخطيط مركز المدينة لتسمح بمزيد من السيطرة

الفعالة والحكم الشرطي، كما أن تطهير المنطقة كان الخطوة الأولى فى رؤية طموحة لإعادة بناء القاهرة، لم يستطع السادات تنفيذها فعليًا(٥٣)، ولكن الآن تحول مكان عشش الترجمان إلى فنادق ومبان وزارة الخارجية.

ثانيًا: الإطار الميدانى للدراسة:

حاولت الدراسة الاستعانة بمنهج علمى حديث يصلح للدراسة، ويفيد الباحثة بالخروج بأفضل نتائج دراسية، ووجدت الباحثة كثير من المعوقات عندما قررت استخدام هذه المناهج، حتى انتهى الأمر إلى استخدام منهج المسح الاجتماعي بالعينة، واتفاقًا مع نوع الدراسة الحالية، والتى تنتمي الى الدراسات الوصفية التحليلية، وهذا النوع من الدراسات يقوم على وصف الظاهرة الاجتماعية وصفًا دقيقًا، من خلال جمع البيانات والحقائق والمعلومات الخاصة بها، و التعبير عنها كميًا وكيفيًا.

ويعرف المسح الاجتماعي بأنه الدراسة العلمية لظروف المجتمع وحاجاته بقصد تقديم برنامج انشائي للإصلاح الاجتماعي، وهو أيضًا دراسة الظروف الاجتماعية التى تؤثر فى مجتمع معين(٥٤).

أدوات جمع البيانات:

أداة الاستبيان: من خلال استمارة الاستبيان، والتى تحتوي على خمس عناصر هامة، تتعلق بفروض الدراسة بالإضافة الى عنصر البيانات الأساسية للمبحوث.

المقابلة: من خلال لقاء الباحثة بالمبحوثين للحصول على البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة، وهى أداة رئيسية تستخدم فى البحوث التى تعتمد على منهج المسح بالعينة.

عينة الدراسة:

اختيرت عينة الدراسة من المهتمين بدراسة العشوائيات ومشاكل الحضر والمدن الحضرية، وبذلك فهي عينة غرضية عمدية وكانت خصائص العينة كالتالي:- أساتذة ومدرسين بمعهد التخطيط الحضري وعددهم (٧) أعضاء، أساتذة علم اجتماع حضري ببعض الجامعات المصرية وعددهم(٨) أعضاء، واضطرت الباحثة لاستكمال عدد العينة، أن تستعين ببعض الطلبة والطالبات للدراسات العليا، تخصص اجتماع حضري وعددم (١٤) عضو، وبالرغم من تفاوت المستوى العلمي لأفراد العينة إلا أنه جاءت العينة بإجابات استفادت منها الباحثة بالدراسة، وقد راعت الباحثة فى اختيارهم تفوقهم فى مادة علم الاجتماع الحضري وكان مجموع العينة كلها (٣١)، تراجع أثنان منهم بعد ابداء الموافقة بالمشاركة منذ البداية، فأصبحت العينة (٢٩) مفردة.

وقد واجهت الباحثة صعوبات بالدراسة، تتمثل فى صعوبة اختيار العينة الممثلة لموضوع الدراسة، وصعوبة المفاهيم وحداثتها على عينة الدراسة مثل مفاهيم "ايكولوجيا الخوف" و "فن عمارة الخوف" و "عسكرة المدن"، وكانت تمثل صعوبة وحجر عثرة أمام العينة للإجابات فى استمارة الاستبيان، مما اضطر الباحثة أو بعض المساعدين للبقاء مع المبحوثين حتى الانتهاء من إجابة استمارة الاستبيان.

تحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية:

الفرض الأول: التأثير السلبي للرأسمالية الحضرية من حيث زيادة الهزات الطبيعية والطبقية التى تؤدي الى انتشار ايكولوجيا الخوف فى كلًا من المدن المسيجة والعشوائية.

جدول رقم (٣) العلاقة السلبية بين الرأسمالية الحضرية وانتشار ايكولوجيا الخوف فى المدن المسيجة والعشوائية.

المتغيرات	ك	%
نعم	٢٧	% ٩٣.٥٩
لا	٢	%٦.٤١
المجموع	٢٩	%١٠٠

وافقت عينة الدراسة بعدد (٢٧) وبنسبة (٩٣.٥٩%) على أن الرأسمالية الحضرية تزيد من انتشار ايكولوجيا الخوف فى المدن المسيجة والعشوائية، بينما رفضت باقي العينة بعدد (٢) وبنسبة (٦.٤١%) وجود علاقة بين الرأسمالية الحضرية وانتشار ايكولوجيا الخوف لدى سكان المدن المسيجة والعشوائية.

جدول رقم (٤) أسباب ارتباط ايكولوجيا الخوف بالرأسمالية الحضرية

المتغيرات		%
– لأن الرأسمالية الحضرية تهدف الى الربح فقط دون البعد الاجتماعي.	١٥	٥١.٧٤
– لأن الرأسمالية الحضرية تعمل على زيادة الفوارق الطبقية بين المدن المسيجة والعشوائية بما تقدمه للمدن المسيجة من تسهيلات حضرية.	٧	٢٤.١٣
– لأن الرأسمالية الحضرية تعمل على زيادة ايكولوجيا الخوف بالعمل فى سوق المضاربات العقارية وبيع الأراضي الخطرة وتقسيمها للفقراء.	٧	٢٤.١٣
المجمـــوع	٢٩	%١٠٠

وقد وضحت عينة الدراسة بنسبة (٥١.٧٤%) وبعدد (١٥مفردة)، أن أسباب ارتباط ايكولوجيا الخوف بالرأسمالية الحضرية تتحدد فى أن الرأسمالية الحضرية كأي رأسمالية تهدف الى الربح فقط، وليس لها أي بعد اجتماعي فى اهتمامها. فأصحاب الرأسمال حينئذ لا يساهمون فى تفريج أزمة السكن بل يزيدونها تعقيدًا لأنهم يلغون من حسابهم البعد الاجتماعي ولا يهتمون إلا بجانب الربح المادي، بمعنى آخر هم يعيدون انتاج شروط الأزمة ويساهمون فى امتداد الفضاءات الهامشية فى الوسط الحضري[٥٥]. ويعلن الرأسماليون ان المصالح الوطنية فوق المصالح الطبقية، فى حين انهم يضعون فى الواقع مصلحة الاستثمارات الرأسمالية والأرباح فوق كل شئ، ويخونون فعلًا المصالح الوطنية.

بينما جاءت نسبة (٢٤.١٣%) من العينة، وبعدد (٧) مفردة، بأن الرأسمالية تدافع دائمًا عن أفراد طبقتها من الأثرياء، وتحاول أن تقدم تسهيلات حضرية دائمة فى هذه الأحياء أو فى المدن المسيجة.

وجاءت نسبة (٢٤.١٣%) من العينة، وبعدد (٧) مفردة بأن الرأسمالية الحضرية تعمل على خلق فوارق طبقية بين ساكني المدن المسيجة وساكني العشوائيات بتقديم أراضي خطرة لهم ليسكنوها، وفى ظل حاجة الفقراء للسكن وضعية التهميش التى يعيشونها، من خلال تحويل الأراضي المحتكرة الى أقسام غير قانونية، وتستغل الرأسمالية تهافت الفقراء الحضريين على أراضي غير مهيأة، بعد أن استحال عليهم الحصول على مساكن أو عقارات بالطرق القانونية.

جدول رقم (٥) آليات الرأسمالية الحضرية فى انتشار ايكولوجيا الخوف فى المدن المسيجة والعشوائية

المتغيرات	ك	%
– من خلال أسواق العقارات والمضاربات العقارية.	١٠	٣٤.٤٨
– من خلال سن قوانين لصالحها.	٥	١٧.٢٤
– من خلال فساد موظفي الدولة وعلاقتهم بهم.	٦	٢٠.٦٨
– من خلال إزالة العشوائية ذات القيمة الاقتصادية المرتفعة.	٤	١٣.٨٠
– من خلال عسكرة المدن المسيجة لتأمين ساكنيها.	٤	١٣.٨٠
المجمـوع	٢٩	%١٠٠

كما أوضحت نتائج الدراسة الميدانية أن آليات الرأسمالية الحضرية فى انتشار ايكولوجيا الخوف فى المدن المسيجة والعشوائية تتمثل فى عملها فى الأسواق العقارية والمضاربات العقارية وجاءت بنسبة (٣٤.٤٨%) وبعدد (١٠ مفردة)، وذلك من خلال قدراتهم المادية، التى حاولوا بها احتكار سوق السكن، وإملاء شروطهم النفعية والربحية على هذا السوق السكني، مما يخول لهم التحكم فى أسعار المباني والعقارات لتهدف الى مزيد من الربح لهم، وكان الاقتراض من البنوك المصرية آلية الرأسمالية الحضرية فى مصر لتزويد قدراتهم المادية، نظرًا لما توفره الدولة من تسهيلات كبيرة للمستثمرين الحضريين.

ثم جاءت آلية سن القوانين لصالحها، لعلاقتها بموظفي الإدارات الحكومية، كما أنها تستطيع أن تصل لما ترغبه من خلال الفساد والرشاوي بنسبة (١٧.٢٤%) بعدد (٥ مفردة) وجاء الفساد فى عمل الرأسمالية الحضرية كآلية لزيادة انتشار ايكولوجيا الخوف فى المدن المسيجة والعشوائية بنسبة (٢٠.٦٨%) وبعدد (٦ مفردة). وقديمًا تحدث ابن خلدون فى مقدمته عن "الجاه المفيد للمال"، إذ يرى ابن خلدون أن المال تابع للجاه والسلطة وليس العكس، إذ يكتسب البعض من خلال المنصب والنفوذ الإداري فى جهاز الدولة أوضاعًا تسمح لهم بالحصول على المغانم المالية(٥٦). ومن ينظر إلى تكوين مجلس النواب أو مجلس الشعب والشورى سابقًا يعرف سيطرة الرأسمالية والمستثمرين العقاريين على هذه المجالس، فيما يعنيه من اتجاه القوانين لصالح أرباب المال على حساب فئات المجتمع الأخرى. ويمكن حصر أهم مكونات اقتصاد الفساد فى مصر، فى تخصيص الأراضي من خلال قرارات إدارية عفوية، تأخذ شكل العطايا، لتستخدم فيما بعد فى المضاربات العقارية(٥٧).

فإن ما جرى فى مصر من استخدام الاراضى المملوكة للدولة وتخصيصها بطرق مختلفة – لاتخلو كثيرًا من فساد – قد أدت إلى توزيع جديد للثروات والدخول، وساهمت فى تعزيز دور وثقل جماعات السمسرة والمضاربة داخل بنية المجتمع وفي تراكم الثروات فى مجالات لاتؤدى إلى توسعات استثمارية إنتاجية بالضرورة(٥٨). وأن الرأسمالية الحضرية تعمل فى المدن المسيجة بآلية المزيد من عسكرة الحياة داخل هذه المدن بنسبة (١٣.٨٠) وبعدد (٤مفردة)، وأن الرأسمالية الحضرية تعمل فى العشوائيات بآلية محاولة الحصول على الأرض مرة اخرى لارتفاع قيمتها الاقتصادية بنسبة (١٣.٨٠%) وبعدد (٤مفردة) أيضًا.

وكما تلعب الاعتبارات السياسية دورًا فى دعم الأساليب التحايلية فى نشأة المناطق العشوائية، كذلك ترتبط فكرة إزالة الأحياء العشوائية غالبًا بأهداف ومصالح سياسية، ففي جمهورية جنوب أفريقيا لجأت الحكومة إلى إزالة هذه الأحياء كسياسة استعمارية الهدف

منها المحافظة على مستويات معيشة أحياء البيض وإمكانية تطويرها. وقد تظهر فكرة إزالة الأحياء العشوائية إذا ما كانت قريبة من الحي التجاري للمدينة، حيث تظهر دعاوى لإقامة مساكن بديلة لسكانها على الأطراف الحضرية(٥٩).

جدول رقم (٦) آليات صندوق النقد والبنك الدوليين فى انتشار العشوائيات

المتغيرات	ك	%
– زيادة الهجرة الريفية الحضرية يرفع مساعدة الدولة للقطاع الزراعي والذي فرضها صندوق النقد والبنك الدوليين.	٣	١٠.٣٤
– زيادة فرض الضرائب على الفقراء دون أغنياء الدولة.	٥	١٧.٢٤
– تقليص معدل انفاق الدولة على الفقراء.	٨	٢٧.٦٠
– خصخصة أسواق السكن	٤	١٣.٨٠
– زيادة فوائد القروض المخصصة لحل مشاكل فقراء العشوائيات.	٦	٢٠.٦٨
– إبقاء العشوائيات كقنبلة موقوتة لتحريكها سياسيًا وقتما شاءوا.	٣	١٠.٣٤
المجمـوع	٢٩	%١٠٠

وجاءت إجابات أفراد العينة بأن زيادة الهجرة الريفية الحضرية، نتيجة فرض البنك الدولي وصندوق النقد الدولي على الدولة برفع مساعدتها ودعمها للقطاع الزراعي بنسبة (١٠.٣٤%) بعدد (٣أفراد). وبهذا تتفق الدراسة أيضًا مع مايك ديفيز أن برامج التكيف الهيكلي التى فرضت على الأمم المدينة فى أواخر السبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، تطلبت تقليصًا لبرامج الحكومة وفى الغالب خصخصة أسواق السكن.

كما جاءت نسبة (١٧.٢٤%) بعدد (٥ أفراد) أن الضرائب تفرض على الفقراء بنسبة تصاعدية دون الأغنياء، وأن هؤلاء الأغنياء يتوقعون تسديد معدلات ضرائب منخفضة، ويتلقون مستويات مرتفعة من الخدمات البلدية، وذلك اتفاقا مع مايك ديفيز. **(انظر الجزء النظري بالدراسة)**. ووفقًا لقوانين الضرائب السابقة، فأن هذه الأرباح الهائلة التى جناها الرأسماليون الحضريون، لم تخضع لضرائب الارباح الرأسمالية غير المعمول بها فى النظام الضريبى المصرى بعد اتباع سياسات الانفتاح الاقتصادى، وخصوصًا بعد تأسيس وتشغيل البورصة المصرية وسوق الاوراق المالية بعد عام ١٩٩٢ (٦٠).

ثم جاءت نسبة (١٠.٣٤%) بعدد (٣ أفراد) بأن إبقاء العشوائيات ورقة فى يد القوى الرأسمالية للعب مع النظام السياسي القائم يحركونها متى وكيف شاءوا. فهذه الفئات المهشة ستشكل بؤرًا للتوتر الاجتماعي ومصدرًا للانفلات الأمني كلما تعكر المناخ الاجتماعي وتأزمت الأوضاع، وتنجح الدولة فى معظم الأحيان فى احتوائها عبر التعامل معها "كمناطق ظل" تستحق منها العناية والالتفاتة، وسيلقى ذاك التعامل تجاوبًا كبيرًا من قبل سكان تلك الفضاءات عندما يقدمون أنفسهم على أنهم ضحايا وضع ما وعلى أنهم فى أشد الحاجة إلى المساعدة والانتشال، تتجلى هذه الأوضاع فى الانتخابات والمواسم والأعياد وغيرها، كما أن ثنائية العشوائيات والمدن المسيجة يأخذها أي نظام حكم موضوعًا للخطاب السياسي لبيان اهتمامه بالمحتاجين والمحرومين من طبقات الشعب.

وقد أقرت نسبة (٢٧.٦٠%) من العينة بعدد (٨أفراد) أن صندوق النقد والبنك الدوليين يعملون على توقف سيطرة الدولة على هذا القطاع وتقليص معدل انفاق الدولة الاجتماعي بشكل عام ومنها الدعم على أساسيات الحياة للفقراء وخاصة دعم الإسكان.

كما أقرت نسبة (١٣.٨٠%) من العينة بعدد (٤أفراد) أن صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، يرغب فى اطلاق اليد وسيطرة الرأسماليين الحضريين على أسواق السكن

وخصخصة هذا القطاع، وذلك لتبعية هذه الرأسمالية الحضرية المصرية للرأسمالية الحضرية العالمية، وأن عملية الاندماج فى النظام الرأسمالي العالمي تتطلب تكوين طبقة برجوازية داخلية، هذه الطبقة من الرأسمالية الحضرية تؤمن بتحقيق الربح المادي بأي وسيلة كانت، ولذلك فإن قيمة النجاح المادي لديها لا يرتبط بمشروعات تنموية حقيقية، وإنما يرتبط بمشروعات طفيلية غير انتاجية سريعة العائد، بينما تعاني الجماهير العريضة فى التوابع من عمليات إفقار مستمر وهى أشد الناس تأثرًا بنتائج التبعية وتتكون هذه الجماهير فى جانب كبير من فقراء حضريين.

كما قررت نسبة (٢٠.٦٨%) من العينة بعدد (٦ أفراد) أن القروض وفوائدها هى التى يسيطر بها كلًا من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، واتفاقًا مع أوبراي، فقد جاءت النسبة الأكبر من عينة الدراسة بأن صندوق النقد والبنك الدوليين يحاولان فرض ضرائب تصاعدية على الفقراء دون الأغنياء برغم أن أرباح استثماراتهم على حساب الدولة، وفى المجتمع المصري تعمل برامج الأمم المتحدة مثل برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية UN-Habitat منذ ١٩٧٦، ويعمل برنامج مدن بلا صفيح وميثاق الأمم المتحدة حول الحق فى السكن والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما يعمل صندوق منح تطوير العشوائيات مع مؤسسات التعاون الدولي، ولكن كل هذه القروض لها فوائد قد تقارب نسبة ١٠.٤%.

جدول رقم (٧) أسباب إزالة العشوائيات لدى الرأسمالية الحضرية، مما يسبب فى مزيد من انتشار الخوف لدى سكان العشوائيات

المتغيرات	ك	%
– لارتفاع قيمة الأرض اقتصاديًا واستبدالها بمشاريع استثمارية.	١٦	٥٥.١٨
– خوفًا على العشوائيين أنفسهم.	١	٣.٤٤
– لزيادة المساحات الخاصة بالصفوة.	٤	١٣.٨٠
– رغبة فى مزيد من التحديث والتنمية للوطن فى إطار التطوير العمراني.	٣	١٠.٣٤
– حفاظًا على منظر المدينة لكي تبقى المدينة للصفوة.	٥	١٧.٢٤
المجمـوع	٢٩	%١٠٠

وقد جاءت إجابات المبحوثين بأن إزالة العشوائيات يسبب خوفًا لدى سكان العشوائيات بنسبة (٥٥.١٨%) بعدد (١٦ مفردة)، وان اسباب إزالة العشوائيات نتيجة لارتفاع سعر الأرض اقتصاديًا أو لموقعها فى وسط الحيز العمراني. وهنا تتفق الدراسة مع ديفيد هارفي فى عملية التراكم الرأسمالي لدى الرأسمالية الحضرية، وكيف تتحرك هذه العملية من احد أجزاء الدولة إلى الجزء الآخر مساهمة فى بناء مجالات مكانية جديدة وتركيزات جغرافية حتى ضمن إطار الدولة نفسها.

وجاءت نسبة (٣.٤٤%) بعدد (١ مفردة) بأن الرأسماليين الحضريين يخافون على العشوائيين من زيادة المخاطر الطبيعية نتيجة لامتدادهم العشوائي. وجاءت نسبة (١٣.٨٠%) بعدد (٤ مفردة) لكي تمتلك الصفوة الأراضي المميزة. بينما جاءت نسبة (١٠.٣٤%) بعدد (٣ مفردة) بأن الرأسمالية الحضرية هى رأسمالية وطنية فى أغلبها، وتعمل لصالح الدولة، فى مزيد من التحديث والتنمية الحضرية. وقد قررت نسبة

(١٧.٢٤%) بعدد (٥ مفردة) بأن الرأسمالية الحضرية تحاول إزالة هذه المناطق العشوائية حرصًا على منظر المدينة.

جدول رقم (٨) أسباب عدم ملائمة السكن الجديد للمهجرين من أراضي العشوائيات

المتغيرات	ك	%
– نوعية المساكن لا تتناسب مع هذه الفئات وان كانت تتناسب مع الحالة المادية لمقتنيها.	٤	١٣.٨٠
– بعدها عن الوسط الحضري.	٦	٢٠.٦٨
– اعتبار أن ساكني المدن العشوائية يعتبرون الارض المطلوب اخلائها ملكية لهم بحكم وجودهم عليها منذ زمن.	٣	١٠.٣٤
– بعدها عن مصدر رزقهم وتكسبهم.	١٢	٤١.٣٨
– اعتيادهم للسكن فيها بالرغم من شكواهم الدائمة منها.	٤	١٣.٨٠
المجمـوع	٢٩	%١٠٠

أما عن أسباب عدم ملائمة السكن الجديد للمهجرين من أراضى العشوائيات، فقد جاءت نسبة (١٣.٨٠%) وبعدد (٤مفردة) يتفقون على أن نوعية المساكن التى يستلمونها العشوائيين من الحكومة غير مناسبة لهم، لأنهم من أصول ريفية ويحبون اقتناء تربية الطيور، لغلاء أسعارها بالخارج، كما لا توفر لهم أماكن لممارسة أنشطتهم الاقتصادية أو انتاجهم السلعي البسيط. وذلك ما يفسر إدخال بعض التحويرات على بنية المساكن بعد الحصول عليها.

كما جاءت نسبة (٢٠.٦٨%) وبعدد (٦مفردة) على أن هذه المساكن بعيدة عن وسط البلد أو الحيز العمراني، وذلك لأن فقراء العشوائيات لا يملكون وسائل مواصلات خاصة بهم فإنهم ينفقون كثيرًا فى انتقالاتهم من هذه المساكن الى حيث شاءوا داخل الحيز العمراني. وأقرت نسبة (١٠.٣٤%) بعدد (٣ مفردة)، بأن سكان العشوائيات يعتبرون أن هذه الأرض ملكية لهم، توارثونها من آبائهم.

كما أقرت نسبة (٤١.٣٨%) بعدد (١٢ مفردة) أن سكان العشوائيات قد رتبت أحوالهم ومصدر رزقهم بناء على سكناهم بتلك الأماكن منذ زمن بعيد، فمثلًا سكان المقابر معظمهم يعمل فى أعمال الدفن وبناء المقابر وقراءة القرآن وغيره من أعمال ارتبطت بمكان سكناهم، هذا بالإضافة الى أن فى هذه الأماكن متسع من المساحة المكانية لممارسة أعمال أخرى، كأعمال الجبس والطوب الفرعوني وغيرهم من أعمال تحتاج الى حيز مكاني أو فراغ مكاني.

كما جاءت نسبة (١٣.٨٠%) بعدد (٤ مفردة) يقررون ان الانتقال من مكان لآخر عملية شاقة عليهم، لتعودهم أسلوب حياتهم بهذا الشكل، وخاصة أن معظم هذه المناطق لا تحتاج نفقات عالية، فكلهم مستوى اجتماعي واقتصادي واحد، وأن هذه المناطق تكون مصدرًا للتكسب من خلال صدقات وزكاة الأغنياء عليهم وخاصة فى المواسم الدينية، ففي سكنى المقابر على سبيل المثال، وفى فترات المواسم وزيارات المتوفيين من الأقارب، يحصل رواج نقدي لهم. وبالتالي أصبح الإخلاء القسري وإسكان سكان العشوائيات فى مساكن بديلة، أصبح شبحًا يزرع الأزمات بين الحكومة والمواطنين.

الجدول رقم (٩) أسباب الفوارق الطبقية بين المناطق المسيجة والعشوائية

المتغيرات	ك	%
– لأن الرأسمالية الحضرية يعملون لصالح الصفوة لأنهم جزئ منها. (أيديولوجية الدفاع عن طبقتها)	٥	١٧.٢٤
– لعدم عدالة التوزيع فى الدخول.	١٠	٣٤.٤٨
– عدم اهتمام الدولة ورعايتها ووضع الخطط الاستراتيجية لانقاذ سكان العشوائيات.	٦	٢٠.٦٨
– الممارسات الخاطئة فى سياسات الإسكان.	٣	١٠.٣٤
– زيادة رسملة الدولة واتخاذها النظام الرأسمالي.	٥	١٧.٢٤
المجمـوع	٢٩	%١٠٠

أكدت عينة الدراسة بأن الفوارق بين المناطق العشوائية والمسيجة، سيظل قائمًا، وسيزداد سوءًا نتيجة لعدة أسباب، جاءت أهمها فى عدم عدالة التوزيع فى الدخول وقد جاءت بنسبة (٣٤.٤٨%) وبعدد (١٠ مفردة) والتى من شأنها زيادة الفوارق الطبقية، وتنعكس هذه الفوارق الطبقية فى أحد أشكالها فى المسكن وهذا ما نطلق عليه فى الدراسة بالفوارق التوزيعية وهى (عدم قدرة الدولة على إعادة توزيع الدخول فى مواجهة الرأسمالية المصرية عامة والرأسمالية الحضرية خاصة)، والفوارق الهيكلية الناتجة عن منطق المنافسة الحرة فى الاقتصاد الليبرالي فالدولة غير قادرة على مواجهة الرأسمالية المصرية، وغير قادرة على مواجهة العشوائيين خوفًا من تحركهم الثوري، فى مراحل قادمة إذا بقوا على هذا الحال. وفى هذا تتفق الدراسة مع جليلة القاضي فى أن الأحياء فى القاهرة هى تجسيد لتفاوت الدخول ونتيجة لتلك الدخول التى تسبب الانتقاء الاقتصادي والاجتماعي للحيز المكاني.

وجاءت اجابات العينة بنسبة (١٧.٢٤%) وبعدد (٥ مفردة) أن الرأسمالية الحضرية تعمل لصالحها وصالح طبقتها التى تنتمي إليها، وكان مستوى التحالفات الطبقية فى أعلى مراحله، عندما اتجهت الرأسمالية الحضرية إلى إنشاء تكتلات خاصة لرعاية مصالحهم ورفع توصياتهم وشكواهم الى المسئولين مثل اتحاد المستثمرين العقاريين فى المدن الجديدة، واتحادات رجال الأعمال لتعمل جنبًا الى جنب مع الغرف التجارية. وتعتبر الرأسمالية الحضرية جماعة طبقية ناشئة المصلحة، تهتم بالمحافظة على الوضع كما هو، لانها تقع فى منطقة امتيازات أى مواقع اجتماعية، فهى كاى مجموعة منظمة لها مصالح مشتركة، فمن الطبيعى ان يشعر أفرادها بالانتماء المشترك ويعملون على انشاء وسائل مادية وايديولوجية وقيادية للدفاع عن مصالحها.

وجاءت اجابات العينة بنسبة (٢٠.٦٨%) وبعدد (٦ مفردة) بأن الدولة لا تهتم بإزالة الفوارق الطبقية بين المدن المسيجة والعشوائية، بالرغم من أن العدالة الاجتماعية تقتضى من الدولة التخفيف من حدة الفوارق الطبقية، وخاصة فى ظل التحول الرأسمالي المشوه التى نسم بها المجتمع المصري، مما يجعل حدة الفوارق الطبقية أحد سمات التحول الرأسمالي.

وقد قررت عينة الدراسة بنسبة (١٠.٣٤%) وبعدد (٣ مفردة) بأن الممارسات الخاطئة فى سياسات الإسكان منذ بداية المشكلة هى السبب فى حدة الفوارق الطبقية، واتفاقا مع مايك ديفيز بأن الدولة ما بعد الاستعمارية أصبحت خائنة لوعودها لفقراء الحضر، ومع كل هذا التاريخ فى مصر لمعالجة موضوع العشوائيات من ١٩٥٢ الى الآن وما تسببه من خوف وما باءت به من فشل.

أما باقي العينة بنسبة (١٧.٢٤%) وبعدد (٥ مفردة) أن الدولة تأخذ بالنظام الرأسمالي، ولكنه نظام رأسمالي مشوه وتابع، ولأن النظام الرأسمالي المشوه والتابع يرتبط بالخارج مما يؤدي الى عدم القدرة على توفير الموارد اللازمة لتمويل المشاريع الحضرية، مما يزيد من أزمة تفاقم ايكولوجيا الخوف فى كلًا من المدن المسيجة والعشوائيات.

ويجب توضيح أن كل متغيرات هذا التساؤل تصب فى خانة أن الرأسمالية هى السبب الأول للفوارق الطبقية بين سكان المدن المسيجة وسكان العشوائيات، حيث أن الرأسمالية الحضرية المصرية هى أحد أفرع الرأسمالية العالمية، وأن الرأسمالية العالمية هى تعبيرًا عن نظام اقتصادي رأسمالي يأخذ بقوى السوق والمنافسة الحرة.

جدول رقم (١٠) ترتيب الفوارق بين المدن المسيجة والعشوائية من حيث:

المتغيرات	ك	%
– الطرق (شبكة محصنة من الطرق)	٢	٦.٨٩
– التسهيلات الحضرية المختلفة (مستشفيات – مدارس...إلخ)	١	٣.٤٤
– درجة مواجهة المخاطر الطبيعية والبيئية.	٢	٦.٨٩
– كل ماسبق	٢٤	٨٢.٧٥
المجمـوع	٢٩	%١٠٠

جاءت نسبة كبيرة من العينة بنسبة (٨٢.٧٥%) وبعدد (٢٤ مفردة) بأن الفوارق بين المدن المسيجة والعشوائية هى فوارق طبيعية تتمثل فى المخاطر الطبيعية والبيئية، وفوارق طبقية مثل زيادة الطرق والتسهيلات الحضرية المختلفة فى متغير (كل ما سبق).

وجاءت نسبة (٦.٨٩%) بعدد (٢ مفردة) تقرر أن شبكة الطرق هى الأهم فى وجود فوارق طبقية بين كلًا من المدن المسيجة والعشوائية. لأن هذه التسهيلات من شبكة الطرق تؤدى الى مزيد من الانعزال بين الطبقات، وخاصة الكبارى لأنها سلوك طبقى بإمتياز، فمن خلال الكبارى يحدث تجاوز للمناطق الفقيرة، مع قلة التفاعل مع هذه الطبقات.

كما جاءت نسبة (٦.٨٩%) بعدد (٢مفردة) تقرر أن المخاطر الطبيعية وا لبيئية فى المدن المسيجة والعشوائية هم أهم الفوارق الطبيعية، حيث يستطيع سكان المدن المسيجة معالجة هذه المخاطر بما لا يستطيعونه سكان العشوائيات، وذلك من خلال الهندسة الشاقة والأعمال المهمة لحماية تلك المناطق من آثار المناخ والرياح وعوامل التعرية والزلازل.

كما جاءت نسبة (٣.٤٤%) بعدد (١ مفردة) أن كل التسهيلات الحضرية من مستشفيات ومدارس هى فوارق بين المدن المسيجة والعشوائية، وأن كثرة التسهيلات الحضرية فى المدن المسيجة يعكس المزيد من الفوارق الطبقية والاجتماعية، لأن العشوائيات خالية من الطرق الممهدة.

الفرض الثاني: العلاقة بين ايكولوجيا الخوف فى المدن المسيجة وانتشار فن عمارة الخوف

جدول رقم (١١) أهداف عسكرة المدن المسيجة

المتغيرات	ك	%
– أهداف سياسية.	٦	٢٠.٦٨
– أهداف اجتماعية / ثقافية.	٣	١٠.٣٤
– أهداف اقتصادية.	١٥	٥١.٧٤

– كل ما سبق	٥	١٧.٢٤
المجمـوع	٢٩	%١٠٠

وجاءت نتائج أهداف عسكرة المدن المسيجة، بأن الأهداف الاقتصادية كانت بنسبة (٥١.٧٤%) وبعدد (١٥ مفردة)، تليها الأهداف السياسية بنسبة (٢٠.٦٨%) وبعدد (٦مفردة) ثم جاء متغير كل ما سبق بنسبة (١٧.٢٤%) وبعدد (٥ مفردة)، ثم جاءت فى آخر الترتيب الأهداف الاجتماعية لعسكرة المدن المسيجة بنسبة (١٠.٣٤%) وبعدد (٣مفردة).

وتتمثل الأهداف السياسية فى محاولة القضاء على الإرهاب والحرب عليه، هى أهم دواعي عسكرة المدن المسيجة والعشوائية سوءًا. أما أهم الأهداف الاجتماعية لعسكرة المدن المسيجة هو العزل الاجتماعي/الطبقي عن الطبقات الفقيرة خارج السياج. كما أن البعد الاجتماعي أكثر ظهورًا فى العشوائيات عن المدن المسيجة، فالمدن المسيجة معزولة عن مشهدها الاجتماعي. كما جاءت الاهداف الاقتصادية من أعلى النسب كأهداف لعسكرة المدن المسيجة، متمثلة فى زيادة أعمال الشركات التى تعمل فى هذا المجال الأمنى للمدن المسيجة.

جدول رقم (١٢) أنواع ايكولوجيا الخوف فى المدن المسيجة

المتغيرات	ك	%
– الخوف من المخاطر الطبيعية والبيئية.	٤	١٤
– الخوف من الطبقات الفقيرة.	٢٥	٨٦
المجمـوع	٢٩	%١٠٠

وجاءت اجابات المبحوثين بنسبة (٨٦%) وبعدد (٢٥ مفردة) أن الخوف من الطبقات الفقيرة هى أهم أنواع ايكولوجيا الخوف، وهى دائمًا فى تفاعل معهم، يؤدون لهم بعض الأعمال كالخدم وأعمال البناء... إلخ، وتحترس الطبقات الغنية وساكني هذه المدن المسيجة من هذه الطبقة الفقيرة.

وجاءت نسبة (١٤%) بعدد (٤ مفردة) مؤكدة أن المخاطر الطبيعية والبيئية، هى أهم أنواع ايكولوجيا الخوف لدى سكان المناطق المسيجة، بالرغم من محاولتهم تجنب هذا النوع من ايكولوجيا الخوف.

جدول رقم (١٣) أشكال فن عمارة الخوف لدى المدن المسيجة

المتغيرات	فن عمارة الخوف متمثلا فى	ك	%
الخوف من المخاطر الطبيعية والبيئية	زيادة الأعمال الشاقة والمهمة.	٢	٧
	الانتقال الى مدن مسيجة أخرى	٢	٧
المجمـــوع		٤	%١٤
الخوف من الفقراء والطبقات الفقيرة	بناء أسوار شاهقة ومزججة.	٩	٣١.٣٤
	زيادة استخدام الأبواب المصفحة والمعدنية.	٤	١٣.٨٠
	أجراس الإنذار والكاميرات وزيادة حجم المتاريس والكوالين.	٤	١٣.٨٠
	اقتناء الكلاب للحراسة وانتشار بيوت الكلاب.	٨	٢٧.٠٦
المجمـوع		٢٥	%٨٦

وجاءت اجابات المبحوثين بان الخوف من المخاطر الطبيعية والبيئية بنسبة (١٤%) وبعدد (٤مفردة) هم الأهم من الخوف من الفقراء والطبقات الفقيرة، وكان فن عمارة الخوف لدى المدن المسيجة لديهم تمثل نسبة (٧%) وبعدد (٢مفردة) فى زيادة الأعمال الهندسية الشاقة والمهمة، وجاءت نسبة (٧%) وبعدد (٢مفردة) أيضًا فى أن فن عمارة الخوف يتمثل فى هجر هذه المدن والانتقال الى مدن مسيجة أخرى.

وجاء الخوف من الفقراء والطبقات الفقيرة لدى عينة الدراسة بنسبة (٨٦%) وبعدد (٢٥مفردة) وكان فن عمارة الخوف لديهم يتمثل فى نسبة (٣١%) بعدد (٩ مفردة). وجاءت نسبة (١٤%) بعدد (٤ مفردة) لزيادة استخدام الأبواب المصفحة والمعدنية بأشكالها المميزة. ثم جاءت نسبة (١٤%) بعدد (٤مفردة) باستخدام أجراس الإنذار وكاميرات المراقبة وزيادة استخدام المتاريس والكوالين. كما جاءت نسبة (٢٨%) بعدد (٨ مفردة) بأن فن عمارة الخوف تتمثل فى انتشار أشكال بيوت الكلاب، وبالتالي مزيد من اقتناء الكلاب، مما شكل بنية الفضاء الحضري، بوجود حدائق للكلاب فى بعض المدن المسيجة.

الفرض الثالث: ايكولوجيا الخوف من العشوائيات واللاحركات الاجتماعية.

جدول رقم (١٤) أشكال الخوف فى المناطق العشوائية غير الآمنة

المتغيرات	ك	%
خوف من أهل المنطقة العشوائية من انتشار الأمراض بها.	٥	١٧.٢٤
الخوف من المخاطر الطبيعية والبيئية.	٧	٢٤.١٣
خوف أمني من الدولة (زيادة دوريات الشرطة وهجوم الشرطة الدائم على هذه الأماكن)	١٠	٣٤.٤٨
الخوف من إزالة المناطق العشوائية.	٧	٢٤.١٣
المجمـوع	٢٩	%١٠٠

وجاءت نسبة (٢٤.١٣%) وبعدد (٧ مفردة) بأن الخوف من المخاطر الطبيعية والبيئية هو أكبر أشكال الخوف فى المناطق العشوائية، فقد اتضح من عينة الدراسة أن الرأسمالية الحضرية منذ البداية تعمل على الاستيلاء على الأراضي ذات الصفات الجيولوجية الضارة، وخاصة لأنها بعيدة عن أعين الرقابة الحكومية، وتعمل الرأسمالية الحضرية على تجهيزها وتقسيمها وبيعها أو تدوير بيعها بهدف المزيد من الربح، وأن هذه العملية وتسكين هذه المناطق بالباحثين عن مأوى رخيص وغير مكلف مما يزيد ويعاظم من هذه المخاطر الجيولوجية. وبالتالي فإن هذه المناطق العشوائية ذات المخاطر الجيولوجية يكون بها نمط منحاز من التدمير الطبيعي وهزات طبيعية لمناطق الجبال مثل جبل المقطم، وما تطلق عليه الدراسة باسم (هزة طبقية عن طريق الطبيعة).

وبالتالي تكمن أزمات المناطق العشوائية فى خطورة التخطيط الإنشائي، حيث يقع أغلبها فى مناطق منحدرة بين الجبال. كما أكدت عينة الدراسة بنسبة (٣٤.٤٨%) وبعدد (١٠ مفردة) أن هذه المناطق بها كثير من المشاكل الاجتماعية. مما يزيد من عسكرة هذه المناطق، ويقصد بالعسكرة هنا العسكرة الأمنية، أي تزايد الحملات الأمنية لتجنب هذه المشاكل الاجتماعية أو الحد منها. وأيضًا العسكرة الشخصية أو الفردية وتعنى محاولة ساكني هذه العشوائيات الاحتفاظ بأسلحة للدفاع عن أنفسهم أمام المخاطر الاجتماعية أيضًا وقد يصل الحال الى انتشار تجار وبيع الأسلحة فى تلك المناطق.

وجاء الخوف من الأمراض وانتشارها بنسبة (١٧.٢٤%) بعدد (٥مفردة) وتأتي هذه النيجة اتفاقا مع نتائج البحوث الطبية والعالمية، بأن هذه المناطق العشوائية لا تراعي فيها الشروط البيئية السليمة، من عدم توفر مياة شرب صحية ونقية وخدمات صرف صحي، مما يجعلها مرتعًا خصبًا للأمراض مثل أمراض الدرن والالتهاب الرئوي ولين العظام والكساح، وقد حذرت منظمة الصحة العالمية من عودة شرسة لمرض السل فى مصر.

وجاءت نسبة (٢٤.١٣%) بعدد (٧ مفردة)، مؤكدة أن الخوف من إزالة هذه المناطق العشوائية هو أعلى أشكال الخوف. ويتم إزالة بعض المناطق العشوائية لارتفاع سعر الأرض بها، أو وجودها كعائق فى قيام مشروع استثماري ما، فيعمل الرأسماليون الحضريون على محاولة إزالة هذه المناطق بهدف مزيد من الربح ولصالح الطبقة الرأسمالية الحضرية مثل منطقة رملة بولاق.

والخوف من إزالة هذه المناطق، قد يكون الحكومة أو النظام مضطرًا إلى إزالة هذه المناطق لتصدرها المشهد المديني، وترغب الحكومة إزالتها من مجال الرؤية الاعلامي، كمنطقة ماسبيرو على سبيل المثال. والإخلاء القسري لسكان العشوائيات يمثل خوفًا شديدًا لهم خاصة أن متوسط دخل الفرد ينخفض إلى النصف، حيث أن تكلفة المواصلات لديهم عالية.

الفرض الرابع: محاولة رصد رؤية استشراقية للعلاقة بين دور الرأسمالية الحضرية بشقيها المحلي والعالمي وايكولوجيا الخوف.

جدول رقم (١٥) توقعات لسياسات الاسكان القادمة تجاه العشوائيات غير الآمنة

المتغيرات	ك	%
ان تعمل على خطة متكاملة لها بعدها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.	١٠	٣٤.٤٨
ان تزيل هذه المناطق العشوائية وتنقل السكان الى مناطق سكنية أخرى فقط.	٥	١٧.٢٤
العمل على رفع مستوى السكان الاجتماعي والاقتصادي وتوعيتهم.	١٠	٣٤.٤٨
التجاهل	٢	٦.٨٩
لا يوجد توقعات	٢	٦.٨٩
المجمـوع	٢٩	%١٠٠

ستلتزم الدولة بحل مشاكل العشوائيات بخطة طموحة كذلك قررت نسبة (٣٤.٤٨%) من العينة، وبعدد (١٠ مفردة) ان الدولة لديها خطة طموحة لمعالجة ايكولوجيا الخوف لدى سكان العشوائيات والمدن المسيجة.

كما قررت نسبة (٣٤.٤٨%) من العينة، وبعدد (١٠ مفردة)، بأن الدولة من خلال صندوق تطوير العشوائيات ستعمل على رفع المستوى الثقافى والاجتماعي لسكان العشوائيات والعمل على توعيتهم بمخاطر المناطق التى يسكنونها مستقبلًا.

كما قررت نسبة (١٧.٢٤%) من العينة، وبعدد (٥ مفردة) أن الدولة ستعمل فقط على إزالة العشوائيات، مع الاستمرار فى بناء وحدات سكنية اجتماعية ونقل سكان العشوائيات إليها، ومع هذا ستظل ايكولوجيا الخوف قائمة من عدم الاستقرار الاقتصادي والمهني بسكان العشوائيات. كما قررت نسبة (٦.٨٩%) من العينة، وبعدد (٢ مفردة) أن

التجاهل هو السياسة السكانية القادمة. وكذلك قررت نسبة (٦.٨٩%) من العينة، وبعدد (٢ مفردة) بأنه لا نستطيع التوقع أو التنبؤ بسياسات الإسكان فى الفترة القادمة.

جدول رقم (١٦) هل ستستعين الدولة بالرأسمالية الحضرية للقضاء على العشوائيات أم ستلتزم الدولة فقط بتلك المهمة.

المتغيرات	ك	%
باطلاق حريتهم فى العشوائيات مع تسهيلات للرأسماليين الحضريين لعدم قدرة الدولة على القضاء على العشوائيات وحدها.	١٠	٣٤.٤٨
لأن الرأسماليون قوة لا تستطيع أي دولة تجاهلها.	١٣	٤٤.٨٤
لا توجد آلية واضحة.	٦	٢٠.٦٨
المجمـوع	٢٩	%١٠٠

قررت نسبة (٣٤.٤٨%) من العينة بعدد (١٠ مفردة) بأن الدولة لا تستطيع بمفردها معالجة ايكولوجيا الخوف من خلال القضاء على العشوائيات والقضاء على فن عمارة الخوف لدى المدن المسيجة، وبالتالي لابد من الاستعانة بالرأسمالية الحضرية لسد النقص المالي الذى تعاني منه الدولة.

كما قررت نسبة (٤٤.٨٤%) بعدد (١٣ مفردة) أن الرأسماليين الحضريين قوة تخشاها الدولة، كما تخشى معاداتها. كما قررت نسبة (٢٠.٦٨%) من العينة، وبعدد (٦ مفردة) بأنه إلى الآن لم تتضح الرؤية، وكيف تعالج الدولة موضوع ايكولوجيا الخوف من خلال القضاء على العشوائيات وعلى فن عمارة الخوف لدى المدن المسيجة.

جدول رقم (١٧) مستقبل الفقراء الحضريين سوف يعالج من خلال

المتغيرات	ك	%
– الرأسماليين الحضريين.	٨	٢٧.٦٢
– الدولة.	٦	٢٠.٦٨
– كلاهما	١٥	٥١.٧٠
المجمـوع	٢٩	%١٠٠

قررت نسبة (٢٧.٦٢%) من العينة وبعدد (٨مفردة) بأن الرأسمالية الحضرية ستعمل بدور عظيم فى المستقبل تجاه الفقراء الحضريين والعشوائيات، وإزالة ايكولوجيا الخوف.

كما قررت نسبة (٢٠.٦٨%) من العينة وبعدد (٦مفردة) ان الدولة تسير فى اتجاه اصلاح الخطأ الذى ارتكب سابقًا من سياسات الاسكان، وتعمل على اصلاح العشوائيات بشكل متكامل، مما يؤدي الى التخفيف من ايكولوجيا الخوف، وقررت نسبة (٥١.٧٠%) بعدد (١٥ مفردة)، أن الدولة بمساعدة الرأسمالية سيعملون على التخفيف من ايكولوجيا الخوف فى المستقبل.

توصيات الدراسة:

– أن النمو والتراكم الرأسمالي نتاجًا مباشرًا لعدم العدالة فى توزيع الثروة، وأن الثروة دائمًا ستتركز فى يد القلة. ولولا الفقراء ما صعدت الرأسمالية الحضرية، كما وضح راي بوش، فعلى المستوى السياسي قد يكون للفقراء دورًا فى الانتخابات السياسية فى أحيان وقد يكون لهم دورًا ثوريًا فى أحيان أخرى، كما أن لهم دورًا اقتصاديًا، فالأنشطة الانتاجية التى تصدر من صناعتهم الصغيرة على سبيل المثال، ترتبط بعلاقات

متبادلة مع الأنشطة الاقتصادية الرسمية فى المدن، وقد قدرت نسبة ٢.٤ مليار قيمة الأعمال التجارية غير الرسمية فى هذه المناطق العشوائية(٦١).

– أن التراث النظرى فى علم الاجتماع الحضري لا تستطيع الدراسة من خلاله المقاربة لظاهرة العشوائيات فى المجتمع المصري لخصوصية هذه الظاهرة وخصوصية أسبابها وأشكالها، كما يجب لفت النظر الى ظاهرة العشوائيات فى مصر وايكولوجيا الخوف، والعمل على حلها على أرض الواقع، بعيدًا عن هذه المقاربات النظرية التى لاتدرك – مهما عظُمت – أبعاد مشكلة ايكولوجيا الخوف فى المدن المسيجة والعشوائيات فى المجتمع المصرى.

– تتنوع أشكال ايكولوجيا الخوف فى العشوائيات المصرية، لتنوع تلك العشوائيات فى مصر، وذلك كما سبق ذكره فى الجزء النظري بالدراسة، وبالتالي نحتاج إلى حلول منفصلة لكل منطقة عشوائية، وعدم تبني سياسة موحدة لتطوير المناطق العشوائية، وتحديد أهم المداخل التخطيطية الملائمة لكل مجموعة، وخاصة مجموعة العشوائيات غير الآمنة. ويجب ان يتم تصنيف العشوائيات الى مجموعات تختلف فيما بينها فى بعض الخصائص الاجتماعية والعمرانية، بينما داخل كل مجموعة تجمعها بعض السمات العامة المرتبطة بمعياري الأمن و الأمان(درجة الخطورة على السكان والخطورة السياسية والأمنية ومدى صلاحيتها للبقاء والاستمرار أو التطوير).

– أن هناك توظيف دائم ومستمر لكل العوامل التى من شأنها تعظيم تهديد الأمن الانساني بكافة أبعاده. ومع استمرار واستمراء نفس الخصوصيات التاريخية/ الاجتماعية للمجتع المصري فإن مستقبل ايكولوجيا الخوف فى مدينة القاهرة سوف يزداد مع اتجاه النظام الحالي إلى رأسمالة الدولة وجعل القاهرة مدينة نيوليبرالية تعتمد على اقتصاد السوق، وزيادة عمل صندوق النقد الدولي والبنك الدولى وخاصة فى ظل القروض العقارية التى تستمر مصر في التعامل معها.

– ان المدينة أو الفضاء الحضري به عديد من الفواعل الاجتماعية ويجب أن تكون الدولة هى الفاعل المركزي لأنها تملك قوانين اللعبة الاجتماعية وهى قادرة على إدارتها. وطالما عملت الرأسمالية الحضرية فى مجال المضاربات العقارية بما لديها من رأسمال وقوة سياسية فلن تختفي ايكولوجيا الخوف، وتجد الدراسة فى هذا أنه لابد من تولي الدولة كل شئون الإسكان بمشروع إسكان قومي وبرنامج وطني، لأن التنبؤ بثورة جياع ما زال قائمًا، مع تزايد نسب العشوائيات الخطرة الآن، ولن يكتفي بحل أزمة أحد العشوائيات دون الأخرى، ولن يكتفيى بتسليم وحدات اسكانية اجتماعية لهم بل يجب متابعتهم وتنميتهم، فتنمية العنصر البشري أهم من العنصر المكاني، واتباع نظام سد الذرائع لتجنب المشاكل مع الرأسمالية المصرية عمومًا والرأسمالية الحضرية على وجه الخصوص لم ولن يجدى.

– يجب أن يكون لهذه المناطق الجديدة التى ينقل إليها سكان العشوائيات أساس اقتصادي لخدمة هؤلاء المهمشين، ليجدوا بها فرص عمل لهم، كما يجب تنمية هذا الإنسان المهمش (العشوائي). كما لابد من إشراك هؤلاء المواطنين فى كل الاقتراحات المطروحة للمناقشة.

– وأخيرًا فلابد ان تعمل الحكومة والنظام على تخفيف وطأة الرأسمالية الحضرية على العشوائيات والمدن المسيجة، ومحاولات إبعادهم خصوصًا عن فقراء العشوائيات واستغلالهم، وعدم تركهم لمنافسة السوق.

Abstract

Urban Capitalism And Ecology of Fear An Outlook Study

By Amal Saad Saleh

The study attempts to address the issue of the effect of urban capitalism on increasing the ecology of fear rates in both the squatter areas and compounds in Cairo. It used the sample social survey methodology with the two tools of questionnaire and interview. The study sample consisted of those who are interested in studying squatter areas, urban problems and urban cities through a purposive sample which included ٢٩ items. The researcher has emphasized the majority of the study hypotheses in terms of the existence of a negative relationship between urban capitalism and the increase of the ecology of fear in the squatter areas and compounds in Cairo.

الهوامش

(١)عمار، هبة، دور المدن الجديدة في التنمية الحضرية في إطار مراحل التنمية الاقتصادية، جامعة القاهرة، كلية التخطيط الإقليمي والعمراني، رسالة ماجستير، ٢٠١١، ص ٣/٢٤.

(٢) Abu-Lughod, Janet. Urbanization in the Arab World and the International System, in Gugler, Cities of the Developing World, P. ١٩٦.

(٣) القاضى، جليلة، التحضر العشوائي، ترجمة: منحه البطراوي، المركز القومي للترجمة، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٩ .

(٤) فاروق، عبد الخالق، عشش وقصور، كم أنفق المصريون على المنتجعات السكنية؟، مركز الإستقلال للدراسات الاستراتيجية والاستشارات، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٨٤.

(٥)صالح مجيد، دیاری، فهم الامبريالية الجديدة، مقابلة مع الجغرافى ديفيد هارفى، www.ahewar.org/debat/show.art. asp

http://landtimes.landpedia.org/newsdesu.php?

(٦) بوش، راى، تهميش أم امتهان؟الاقتصاد السياسى لإنتاج الفقر فى مصر، فى التهميش والمهمشون فى مصر والشرق الأوسط، تحرير عائب، حبيب و بوش، راى، دار العين للنشر، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠١٢، ص ٥١.

(٧) وتعزز اجندة الليبرالية من المصادر الريعية كرائد للتنمية فنرى طبقات الرأسمالية أصحاب المحسوبية المرتبطين بمختلف دول العالم يسعون للحصول على عائدات سريعة لإستثماراتهم المحدودة.أنظر : بوش، راى، مرجع سبق ذكره، ص ٥٤.

(٨) أطلقت الدراسة هذا المفهوم للتعبير عن التمييز الطبقى حتى للطبيعة، حيث ان المدن المسيجة لايحدث بها هذه المخاطر كما يتضح من الدراسة.

(٩) وكانت منطقة الدويقة قرب جبل المقطم شرقي العاصمة المصرية القاهرة، قد شهدت انهيارًا صخريًا، أسفر عن مقتل ١٠٠ مواطن تقريبًا وإصابة قرابة ٢٥٠، بينما لم يتم العثور على حوالي ٥٠٠ مفقود تحت الأنقاض، وسبق أن شهدت نفس المنطقة انهيارًا صخريًا مماثلًا في عام ١٩٩٣ أسفر عن مقتل أكثر من ٣٠ شخص كان معظمهم ممن يعملون كجامعي قمامة في القاهرة. انظر: عامر، فتحي حسين ، العشوائيات والإعلام في الوطن العربي، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١١، ص ٤٤.

(٦) Mitchell,Timothy. Dreamland: the Neoliberalism of your desires, Middle East Report (Spring ١٩٩٩) np(internet archive)

(١١) فاروق، عبد الخالق، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٤-١٥، ص ٤٩.

(١٢) Turner, John. Housing Priorties, Settlement Patterns and Urban Development in Modernizing Countries, Journal of the American Institute of Planners ٣٤, ١٩٦٨, PP. ٣٥٤ – ٣٦٣.

(١٣) جليلة القاضي : التحضر العشوائي، ترجمة: منحه البطراوي، القاهرة، المركز القومي للترجمة، دار العين للنشر، ص ٣٣٣.

(١٤) ديفيز، مايك، ايكولوجيا الخوف،

www.scribd.com/book/١٩٢٧٢٦٥٠٤/Ecology of-Fear-Los-Angeles-And-The- Imagination-of-Disaster.

(١٥) القاضى، جليلة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٠ – ٣٢١.

(١٦) انظر:- الجوهري، هناء، علم الاجتماع الحضري، دار المسيرة، الأردن، ٢٠٠٩.
محمود، مصطفى، العشوائيات وثقافة الفقر، دور الدولة وآليات المواجهة، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٤.
محمود، غادة، القوى المؤثرة على نمو المناطق العشوائية: تصنيف المناطق العشوائية للتوصل الى اساليب التعامل التخطيطية والوقائية المناسبة.furp.cu.edu.eg/urj٢٠٠٩frup.
تطوير المناطق اللارسمية بالمشاركة، الدليل الارشادى لصانعى القرار .egypt.urban.net/../Egypt-Giz-PDP-Participatory-Upgrading-of-Informal.

(١٧) إعادة تعريف العشوائيات فى مصر: الفرق بين المناطق غير المخططة وغير الآمنة، يناير ٢٠١٠– مجلة المستوطنات البشرية الدولية.

(١٨) تقارير، سرطان العشوائيات، جريدة الأخبار، الخميس ١٧ يوليو، ٢٠١٤، ص ٩.

(١٩) القاضى، جليلة، مرجع سبق ذكره، ص ص ٣١–٣٢.

(٢٠) مرعى، ايمان، مصر: تطور ظاهرة العشوائيات، http://hic-cena.org/news.php?

(٢١) حنا، ميلاد، الإسكان والعشوائيات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٦، ص ٤٩.

(٢٢) مرعى، ايمان، مصر: تطور ظاهرة العشوائيات، مرجع سبق ذكره.

(٢٣) حنا، ميلاد، مرجع سبق ذكره، ص ٤٩.

(٢٤) حنا، ميلاد، مرجع سبق ذكره. ص ٥٠.

(٢٥) حنا، ميلاد، مرجع سبق ذكره، ص ٩٦.

(٢٦) القاضى، جليلة، مرجع سبق ذكره، ص ٣١٦.

٢٧) مرعى، ايمان، مصر:تطور ظاهرة العشوائيات.http://hic-mena.org/news.php?id.

(٢٨) القاضى، جليلة، مرجع سبق ذكره، ص ٧٧.

(٢٩) القاضى، جليلة، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٢، ص ١٥٥.

(٣٠) ديفيز، مايك، كوكب العشوائيات، ترجمة: ربيع وهبة، المركز القومى للترجمة، العدد ٢٠٢٣، ط١، ٢٠١٣، ص ١٢.

(٣١) تطوير المناطق اللارسمية بالمشاركة، الدليل الارشادى لصنعى القرار، مرجع سبق ذكره.

(٣٢) ديفيز، مايك، كوكب العشوائيات، مرجع سبق ذكره، ص ص٢٣٦ – ٢٣٧.

(٣٣) ديفيز، مايك، كوكب العشوائيات، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٠.

(٣٤) ديفيز، مايك، كوكب العشوائيات، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٧، ص ٢٧٨.

(٣٥) ماك ديفيز، كوكب العشوائيات، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٤ – ١٧٥.

(٣٦)Turner, John op. cit. P. ٣٦٠.

(٣٧)Castells,Manuel, The City and the Grassroots: A Cross – Cultural theory of Urban Social Movements, New York, ١٩٨٣ , P. ١٩١.

(٣٨)ديارى صالح مجيد، فهم الامبريالية الجديدة، مقابلة مع الجغرافى ديفيد هارفى،www.ahewar.org/debat/show.art. asp

http://landtimes.landpedia.org/newsdesu.php?

(٣٩) Adham, Khaled, Cairo's Urban DejaVu, in Yasser Elsheshtawy (ed). Planning Middle Eastern Cities : An Urban Kleidoscope in a Globalizing World , London ٢٠٠٤ , p. ١٥٧.

(٤٠) وأن هناك بها هامشيين حضريين، ويعملون على «اللاحركات اجتماعية» التي ظهرت بين الفقراء والشباب.

٤١) (وقد صك آصف بيات هذا المفهوم اللاحركات اجتماعية فى كتابة التالي، ولذلك اعتمدت الدراسة على هذا الكتاب لتوصيف اللاحركات اجتماعية) Bayat,Asef , Life as Politics, How ordinary people change the Middle East, Cairo, The American University Press, ٢٠٠٩, p. ٢٦.

(٤٢) Asef Bayat، op.cit , p ٤٥.

(٤٣) ديفيز، مايك، كوكب العشوائيات، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٩.

(٤٤) ديفيز، مايك، كوكب العشوائيات، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٩.

(٤٥) Oberai. Population Growth, Employment and Poverty in Third –world Mega – Cities, pp. ١٦٥ – ١٧١.

(٤٦) ديفيز، مايك، كوكب العشوائيات، مرجع سبق ذكره، ص ١٥١.

(٤٧) Tabb,William Economic Governance in the Age of Globabization, NewYork, ٢٠٠٤, p. ١٩٣.

(٤٨)Bayat Aseff and Denis,Eric who is Afrraid of Ashuwaiyat? Environment and Urbanization ١٧:٢, octobar, ٢٠٠٠, P.١٩٩.

(٤٩) عبد الفضيل، محمود، رأسمالية المحاسيب : دراسة فى الاقتصاد الاجتماعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠١١، ص ٦٩.

(٥٠) ديفيز، مايك، كوكب العشوائيات، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٥.

(٥١) ديفيز، مايك، كوكب العشوائيات، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٢٢ – ٢٢٤.

(٥٢) ديفيز، مايك، كوكب العشوائيات، مرجع سبق ذكره، ص ٥٣٠.

(٥٣) ديفيز، مايك، كوكب العشوائيات، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٤، ص٢١٦.

(٥٤)محمد حسن، عبد الباسط، أصول البحث العلمي، دار الكتب المصرية، القاهرة، مكتبة وهبة، ٢٠١١، ص ١٢٥.

(٥٥) الزعفورى، عمر، الحركات الاجتماعية الحضرية فى المجتمعات التابعة، المستقبل العربى، العدد ١، المجلد ٣٨ يوليو – سبتمبر ٢٠٠٩، ص ٢٨٤.

(٥٦) عبد الفضيل، محمود، رأسمالية المحاسيب، مرجع سبق ذكره، ص ٩٤.

(٥٧) الجوهري، هناء، مرجع سبق ذكره، ص ٩٥.

(٥٨) فاروق، عبد الخالق، مرجع سبق ذكره، ص ١٠.

(٥٩) الجوهرى، هناء، مرجع سبق ذكره، ص ٣٥٩، ص ٣٧٠.

(٦٠) فاروق، عبد الخالق، مرجع سبق ذكره، ص ١٥.

(٦١) تطو ير المناطق اللارسمية بالمشاركة، الدليل الإرشادي، مرجع سبق ذكره.